الأخلاق فى ضوء السنة

(دراسة موضوعية)

الدكتورة

وفاء محمد شبل مصطفى

المقدمة

الحمد لله حمداً كثيراً والشكر الدائم له عز وجل على ما أولانا من نعمة ظاهرة وباطنه ، وفي مقدمة ذلك ، نعمة الإسلام ، ثم نعمة العلم ثم هو ثمرة من ثمار الإسلام والصلاة والسلام عدد مخلوقات الله تعالى ، التي نعلم والتي خفى عنا علمها وعلى نبينا المصطفى الهادي الكريم محمد بن عبدالله النبي الأمي الذي وصفه ربه ، بما لم يصف به أحداً من خلقه ، وشهد له أعظم شهادة وأي شئ أصدق شهادة من شهادة الله تبارك وتعالى حيث قال لنبيه محمد (ﷺ) " وَإِنّكَ لَعَلَى خُلُق عَظِيمٍ "[1] .

أما بعد ،،،

فهذه دراسة في الأخلاق الإسلامية تستمد مادتها بالدرجة الأولى من كتاب الله الكريم ، ومن السنة النبوية المطهره لأنهما أساس التشريع ، ومن باب أولى يجب أن يكون مصدر الأخلاق التي يتحلى بها المسلمون في كل زمان ومكان هو القرآن الكريم والسنة المطهره .

وبعد فلا يجوز إغفال التطبيق العملي لهذه الأخلاق الإسلامية ، لا سيما عند رسول الله (ﷺ) الذي كان خلقه القرآن الكريم ، ثم عند أصحابه الكرام ، وغيرهم من أئمة الفقه والتفسير والحديث والتوحيد من السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين .

---

[1] سورة القلم آية ٤ .

ومن هنا يمتاز الفكر الأخلاقي في الإسلام بأنه : فكـــر دينـــي يســـتمد مصدره الأساسي من القرآن الكريم ، والسنة النبوية ،وسيرة السلف الصالح : الصحابة والتابعين ، وبعض الشخصيات المتميزة في تاريخ الإسلام .

وقد اشتمل هذا البحث على ثلاثة مباحث وخاتمة .

المبحث الأول : تعريف الأخلاق وأنواعها وأقسامها والمبادئ التي يعتمد عليها أهمية علم الأخلاق ، جزاء حسن الخلق .

المبحث الثاني : نماذج تطبيقية من أخلاق النبي (ﷺ) .

المبحث الثالث : نماذج من الأخلاق التي يجب أن يكون عليها المسلم .

الخاتمة : اشتملت على أهم النتائج التي توصلت إليها .

المبحث الأول

الأخلاق كعلم له أصوله وقواعده :

هو علم يبحث في الأحكام العلمية التي تعرف بها الفضـــائل لتقتنـــى ، والرذائل لتُجتنب ، بهدف تزكية النفس .[١]

علم الأخلاق الإسلامي :

هو علم يبحث في الأحكام ، أو المبادئ التي تعرف بها الفضائل لتقتنـــي ، والرذائل لتُجتنب ، بهدف تزكية النفس على أساس من الوحي الإلهي [٢] .

وقد يُطلق على علم الأخلاق أنه : علم السلوك أو علـــم الحكمـــة ، أو علم تهذيب الأخلاق هذا وإن ربطه بالدين لا يمنع من جعله علماً عقلياً.

أنواع الخلق : [٣]

١- خلق حسن : وهو الأدب والفضيلة وينتج عنه أقوال وأفعال جميلة عقـــلاً وشرعاً.

٢- خلق سيء : وهو سوء الأدب والرذيلة وينتج عنه أقوال وأفعال قبيحة عقلاً وشرعاً .[٤]

فهذا العلم يدور حول تنظيم سلوك الإنسان وتنبيهه إلى الخير وإلى الشـــر ليتجنبه أو ينته.

---

[١] الأخلاق الإسلامية ، د/ عبداللطيف العبد ٨

[٢] مختار الصحاح ٢١١/٤ مادة خلق

[٣] الخلق : هو العادة والسجية والطبع والمروءة والدين ، وقيل هو ملكة تصدر بها عن النفس الأفعال بسهولة ويسر مـن غير تقدم فكر وروية وتكلف ، المعجم الفلسفي ٥٣٩/١ ، كشاف التهانوي ٣٣٦/١ .

[٤] الأخلاق في الإسلام ٧ .

أقسام حسن الخلق :

أحدهما : حسن الخلق مع الله عز وجل ، وهو أن يعلم أن كل ما يكون منك يوجب عذراً ، وكل ما يأتي من الله يوجب شكراً ، فلا تزال شاكراً له معتذراً إليه سائراً إليه من مطالعة منته وشهود عيب نفسك وأعمالك .

الثاني : حسن الخلق مع الناس وجماعة أمران :

١-بذل المعروف قولاً وفعلاً .

٢-كف الأذى قولاً وفعلاً وهذا إنما يقوم على أركان خمسة :

١- العلم ٢- الجود ٣- الصبر ٤- طيب العود ٥-صحة الإسلام .

أما العلم : فلأنه يعرف معاني الأخلاق وسفسافها فيمكنه أن يتصف بهذا ويتحلى به ويترك هذا ويتخلى عنه .

أما الجود : فسماحة نفسه وبذلها وانقيادها لذلك إذا أراده منها .

أما طيب العود : بأن يكون الله تعالى خلقه على طبيعة منقادة سهلة القياد وسريعة الاستجابة لداعي الخيرات [١]

والطبائع ثلاثة :

١-طبيعة حجرية صلبة قاسية لا تلين ولا تنقاد .

٢-طبيعة مائية هوائية سريعة الانقياد ومستجيبة لكل داع : وهاتان منحرفتان الأولى : لا تقبل والثانية لا تحفظ .

٣-طبيعية وقد جمعت اللين والصلابة والصفاء فهي تقبل بلينها وتحفظ

---

[١] عون المعبود ١٣٠/١٣

بصلابتها وتدرك حقائق الأمور بصفائها فهذه الطبيعة الكاملة التي ينشأ عنها كل خلق صحيح .[١]

هل حسن الخلق غريزة أم مكتسب ؟

قال القرطبي[٢] :الخلق جبلة في نوع الإنسان ، وهم في ذلك متفاوتون فمن غلب عليه شئ منها ، إن كان محموداً وإلا فهو مأمور بالمجاهدة فيه حتى يصير محموداً ، وكذا إن كان ضعيفاً فمن غلب عليه شئ منها إن كان محموداً وإلا فهو مأمور بالمجاهدة فيه حتى يصير محموداً فيرتاض صاحبه حتى يقوى .

٣- قال القرطبي[٣] :

الأخلاق جمع خلق وهي عبارة عن أوصاف الإنسان التي يعامل بها غيره ويخالطه وهي منقسمة إلى محمودة ومذمومة ، فالمحمودة على الإجمال : أن تكون مع غيرك على نفسك فتنصف منها ولا تنصف لها ، وعلى التفصيل : العفو والحلم والجود والصبر وتحمل الأذى والرحمة والشفقة وقضاء الحوائج والتوادد ولين الجانب ونحو ذلك ، والمذموم منها ضد ذلك ، وأما السخاء فهو بمعنى الجود وهو بذل ما يقتضي بغير عوض وعطفه على حسن الخلق من عطف الخاص على العام.

---

[١] عون المعبود ١٣/١٣٠/١٣١ .
[٢] المفهم ١/٩٤ بتصرف .
[٣] المفهم ١/٩٣ بتصرف .

المبادئ التي يعتمد عليها علم الأخلاق الإسلامية :

١- الإيمان بالله .
٢- التصديق برسالة محمد (ﷺ) واتخاذه أسوة حسنة .
٣- التصديق بالقرآن الكريم وبالسنة النبوية المطهرة مع العمل بهما والتخلق بأوامرهما .
٤- النية الحسنة الصادقة في السلوك الحسن .
٥- تحري الفرق بين الحلال والحرام مع الأخذ بالأول وهجر الآخر .
٦- البحث عن العلم النافع .
٧- العدل الشرعي .
٨- الإيمان بالبعث وباليوم الآخر .[١]

ونلمح أن علم الأخلاق ، وإن اهتم بالفرد دون المجتمع ، فإن الثمار الطيبة الناتجة عن التحلي بالخلق الكريم ، يعود نفعها على كل من الفرد والمجتمع ، وهل يقاسي المجتمع المضطرب المكدود ، إلا من عدة أفراد تجردوا من مكارم الأخلاق ولم يستحوا من الله تعالى حق الحياء ، فصنعوا ما شاءوا ، وصدرت منهم الرذائل والمفاسد في ألوان وأشكال .

وقد تبين لغير المسلمين صدق هذه النظرة ، التي تشير إلى تأثير الأخلاق في الأمم حيث إن سعادة الأمم لا تكون بكثرة أموالها ، ولا بقوة استحكاماتها ولا بجمال مبانيها ، وإنما سعادتها بأبنائها الذين تثقفت عقولهم ، وبرجالها الذين حسنت تربيتهم ، واستنارت بصائرهم ، واستقامت أخلاقهم ، ففي هؤلاء سعادتها الحقة .

[١] الأخلاق الإسلامية ، د/ عبداللطيف العبد ٩ .

في هذا الرأي صدق إلى أبعد الحدود ، لما فيه من الربط بين الأخـــلاق وبين السعادة الحقة للمجتمع ، وأن أفراد المجتمع إذا صلحوا على هذا النحـــو فسيحافظون على ميراث الأمة ، ولا يخربون شيئا بل ستزداد أمتهم بهم بهـــاء وتعميراً وتحضراً .

وإذا كان الأمر هكذا بالنسبة للأخلاق الوضيعة ، فما بالنا لو كانت هذه الأخلاق من وحي السماء إذن لتمت سعادة الفرد والمجتمع على أحسن وجه ؛ ولقضى على كثير من ألوان الضياع والظلم . [١]

أهمية حسن الخلق :

حسن الخلق له أهمية عظيمة في حياة المسلم حيث جعـــل النبـــي (ﷺ) حسن الخلق شرطاً لقبول الزوج ، وقد حذر النبي (ﷺ) من الزواج من الرجـــل سيء الخلق ، وذلك لأن الزوج السيء الخلق تستحيل معاشرته .

عن أبي حاتم المزُني رضي الله عنه قال : قـــال رســـول الله (ﷺ) " إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد ، قالوا يا رسول الله وإن كان منه ؟ قال : "إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقـــه فانكحوه ثلاثة مرات " [٢] [٣]

---

[١] الأخلاق في الإسلام د/ عبداللطيف العبد ١٠

[٢] أخرجه الترمذي في سننه كتاب النكاح باب إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه ٣٨٥/٣٨٦/٣ ، وابن ماجه في سننه كتاب النكاح باب الاكفاء ١٩٦٧/٦٣٣/١ ، ، قال ابوعيسى حديث حسن غريب .

[٣] قال الطيبي : وفي الحديث دليل لمالك فإنه يقول لا يراعى في الكفاءة إلا الدين وحده ومذهب الجمهور : أنه يُراعى أربعة أشياء : الدين والحرية والنسب والصنعة ، فلا تزوج المسلمة من كافر ، ولا الصالحة من فاسق ، ولا الحرة من عبد ولا المشهورة النسب من الخامل ولا بنت تاجر ومن له حرفة طيبه ممن له حرفه خبيثة أو مكروهة فإن رضيت المرأة أو وليها بغير كفء صح النكاح .

ولأهمية حسن الخلق جعله النبي (ﷺ) علامة على كمال الإيمان ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :(قال رسول الله (ﷺ) أكملُ المؤمنين إيماناً أحسنُهُم خُلُقاً .) [١]

وعن مسروق : (قال كنا جلوساً مع عبدالله بن عمرو يحدثنا إذ قال : لم يكن رسول الله (ﷺ) فاحشاً ولا مُتفحَّشاً ، وإنه كان يقول : (إِنَّ خِيارَكُم أَحَاسِنُكُم أخلاقاً) [٢]

كيف يُربى الخلق :

يرى الغزالي أن من الناس مَنْ وُلد حسن الخلق بفطرته ، بحيث لا يحتاج إلى تعليم ، ولا إلى تأديب ، كعيسى ابن مريم ، ويحي بن زكريا عليهما السلام ، ولا يبعد فيما يُرى أن يكون في الطبع و الفطرة ما قد ينال بالاكتساب فرب صبي خلق صادق اللهجة سجياً جرئيا .[٣]

ومما يساعد على تربية الخلق ، توسيع دائرة الفكر حيث إن الفكر الضيق سبب لكثير من الرذائل ، وأن العقل غير السليم ينتج عنه خلق سيئ ، وذلك مثل الإنسان الأناني الذي لا يحب الخير إلا لنفسه ولا يرى في الوجود

إذا خطب إليكم أي طلب منكم أن تزوجوه امرأة من أولادكم وأقاربكم أي تستحسنون دينه وديانته وخلقه أي معاشرته فزوجوه إياها ، أي إن لم تزوجوها ممن ترضون دينه وخلقه وترغبوا في مجرد الحسب والجمال أو المال فهذا فساد كبير ، وربما يلحق الأولاد عار فتهيج الفتن والفساد ويترتب عليه قطع النسب وقلة الصلاح والعفة ، عون المعبود ٤٤/٤٣٩/١٢ .

[١] أخرجه أبوداود في سننه كتاب السنة باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه ٤٦٨٢/٢١٩/٤ ، قال المنذري حسن صحيح

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب ، باب حسن الخلق ٦٠٣٥/٥٨/٤

[٣] الأخلاق عند الغزالي تأليف د/ زكي مبارك ١٦٣ .

من يستحق الخير إلا هو ودليل ذلك ما ورد عن أنس عن النبي (ﷺ) قال : (لا يُؤمن أحَدُكُم حتَّى يحبُّ لأخيهِ ما يُحبُّ لنفْسِهِ).[١]

ومما يساعد على تربية الخلق مصاحبة الأخيار ؛ لأن المرء على دين خليله فإذا صاحب الأشرار نتج عن ذلك أخلاق سيئة ، ومن صاحب الأخيار نتج عن ذلك أخلاق حسنة .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :(قال رسول الله (ﷺ) الرجلُ على دينِ خليلهِ فلينظرْ أحدُكُم من يخالِلُ) .[٢]

ومما يساعد على تربية الخلق الإقتداء بالنبي (ﷺ) في التحلي بالأخلاق الكريمة حيث مدحه المولى عز وجل بقوله تعالى (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ) . [٣]

عن عائشه رضي الله عنها قالت : (..... فإِن خُلُقَ نَبيَّ الله (ﷺ) كانَ القُرآنَ.....) [٤]

ومما يساعد على تربية الخلق أن يخصص المسلم نفسه لأعمال الخير العامة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال : (إِنَّ شَجرةً كانتْ تُؤذي المُسلمينَ فجاءَ رجلُ فَقَطعها فدخلَ الجنةِ) .[٥]

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ١٣/١٤/١ .

[٢] أخرجه الترمذي في سننه كتاب الزهد باب ٢٣٧٨/٥٨٩/٤٤٥ قال أبوعيسى حديث حسن غريب .

[٣] سورة القلم آية ٤ .

[٤] أخرجه مسلم في صحيحه باب صلاة المسافرين باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه ٧٤٦/٥٣٣/١ (جزء من حديث طويل) .

[٥] أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة باب فضل إزالة الأذى عن الطريق ١٣٠/٣٢٦/٤ .

وعلى المسلم أن يأتي ببعض الأعمال لا يقصد منهـــا إلا ذل نفســـه ، فكان الشيخ الشعراوي (رحمه الله) ذات مرة قام يمسح حمامات مســـجد مـــن مساجد الله وكان لا يقصد من ذلك إلا كسر نفسه وذلها ، حتى يبتعد عن الكبـــر والعجب والغرور ، وذلك بعد أن قام المسلمون بحمل السيارة التي كان يقلّهـــا الشيخ حباً واحتراماً للشيخ الإمام(رحمه الله) .

المبحث الثاني

نماذج تطبيقية من أخلاق النبي (ﷺ)

يجب التحلي بالأخلاق الإسلامية والاقتداء بالنبي (ﷺ) في ذلك ، لأن الإنسان من دون أخلاق يكون مثل الحيوان يفعل ما يشاء ويأتي كل ما يشتهي دون رادع يمنعه ، وأن السبب في انتشار الرذيلة والجرائم في المجتمع هو عدم التحلي بالأخلاق الإسلامية .

عن عائشه رضي الله عنها قالت : (.....فانَّ خُلقُ نبيَّ الله (ﷺ) كانَ القُرآنَ.....) . [١][٢]

وإذا كانت الأسوة ائتماماً واتباعاً فإن محمداً (ﷺ) هو الأولى بهذا الائتمام والاتباع إلى يوم القيامة لأنه خاتم النبيين ، إن القدوة الحسنة أخلاق النبي (ﷺ) الذي كان خلقه القرآن نتج عنها اسلام ثمانين في المائة من شعب مصر عن اقتناع واتباع ، وقد حدث مثل هذا في أمم أخرى دخلت في دين الله أفواجاً .

ومن أدبه (ﷺ) شدة حبه ورحمته للأطفال فربما سمع بكاء الصبي وهو في الصلاة فيقرأ بالسورة الخفيفة .[٣]

عن أن أنس بن مالك رضي الله عنه قال :(كانَ رسولُ الله (ﷺ) يسمعُ بُكاءَ الصّبيِّ مع أمِّهِ ، وهَو في الصَّلاةِ فيقرأُ بالسورةِ الخفيفةِ أو بالسُّورةِ القَصيرةِ) .[٤]

---

[١] تقدم في رقم ٢١

[٢] قولها (خلق نبي الله كان القرآن) قال النووي معناه العمل به والوقوف عند حدوده والتأدب بآدابه والاعتناء بأمثاله وقصصه وتدبره وحسن تلاوته ، قال تعالى : " لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا " سورة الأحزاب آية ٢١ شرح النووي ٢٢/٣

[٣] أخلاق النبي (ﷺ)للأصبهاني ٧٤/١ بتصرف .

[٤] أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الصلاة باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة ٤٧٠/٣٥٤/١ .

ومن خلقه العظيم (ﷺ) أن كرمه من أعظم الكرم وأكرمه ، فكان (ﷺ) من أجود الناس بالخير ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل عليه السلام .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :(كَانَ رَسُولُ اللّهِ (ﷺ) أَجْوَدَ النّاسِ وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ فَلَرَسُولُ اللّهِ (ﷺ) أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنْ الرّيحِ الْمُرْسَلَةِ). [١]

ومن آدبه العظيم (ﷺ) شجاعته في أحرج المواقف حين تكاثر عليه المشركون يوم أحد ، فما رؤى أحد أشجع منه (ﷺ) وقد نزل عن فرسه وجعل يقاتلهم ويقول (أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب) أي أنا النبي حقاً فلا أفر ولا أزول .

روى الشيخان بسنديهما عن أبي إسحاق(قال : رجل للبراء بن عازب رضي الله عنهما أفررتم عن رسول الله (ﷺ) يوم حُنين [٢] قال : لكن رسول الله (ﷺ) لم يفر ، إن هوازنِ [٣] كانوا قوماً رُماة ، وإنَّا لمَّا لقيناهم حملنا عليهم فانهزموا فأقبل المسلمون على الغنائم واستقبلونا بالسهامِ ، فأما رسول

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب بدء الوحي ٦/١٠/١ ، ومسلم في صحيحه كتاب الفضائل باب كان النبي (ﷺ) أجود الناس بالخير ٢٣٠٨/١٠٩/٤ .

[٢] حنين : سمى بحنين بن نائبه ، وهو واد قريب من مكة ، وهو الذي ذكره الله عز وجل في كتابه (ويوم حنين) مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ٤٣٢/١

[٣] هوازن : هم هوازن بن منصور بطن من قيس بن عيلان من العدنانيه كانوا يقطنون في نجد مما يلي اليمن ومن أوديتهم حنين ومن حروبهم حربهم مع ثقيف ، معجم القبائل العربية ١٢٣٠/٣

الله (ﷺ) فلم يَفرَّ فلقدْ رأيته وإنهُ لعلى بغلته البيضاء ، وإن أبَا سُـفيان آخـذ بلِجامِها والنبيُّ (ﷺ) يقول (أنا النبيُّ لا كذِب أنا ابنُ عبدالمُطَّلب).[١]

فمن واجب المسلمين أن يتحلوا بخلق الشجاعة لنشر الدعوة ومجاهدة الأعداء الذين صاروا ألواناً وأشكالاً ولا سيما في مجال حرب الأخلاق .

وكان (ﷺ) يتحلى بخلق الحياء الطبيعي والشرعي ، والحياء شعبة من شعب الإيمان.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال (كان النبيَّ (ﷺ) أشد حيـاء من العذارِ[٢] في خِدرها[٣]) .[٤] .

وأنه (ﷺ) كان أشد الناس تمسكاً (بالشورى) بالرغم من نزول الـوحي عليه وبالرغم من عصمته امتثالاً لأمر الله تعالى (وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْـرِ. فَـإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكّلْ عَلَى اللّهِ. إِنّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكّلِينَ) [٥]

ومن مكارم أخلاقه عليه الصلاة والسلام أنه كان لا يحرج أحداً يرتكب خطأ إحراجاً مباشراً ، وإنما كان يصوغ المشكلة فـي إطـار جمـاعي يـتعظ المخطئ من خلاله كما يتعظ سواه ، ممن وقع أو سيقع في هذا الخطأ .

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد باب من قاد دابته غيره في الحرب ٢٨٦٤/١٥٠/٢ ، ومسلم في صحيحه كتاب الجهاد باب في غزوة حنين ١٧٧٦/٢٥٨/٣

[٢] العذراء : البكر ، النهاية ١٩٦/٣ .
[٣] خدرها : الخدر ستر يحصل للبكر في جنب البيت ، النهاية ١٣/٢ .
[٤] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب باب الحياء ٦١١٩/٧٠/٤ ، ومسلم في صحيحه كتاب الفضائل باب كثرة حيائه ٦٧/١١٥/٤ .
[٥] سورة آل عمران آية ١٥٩ .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : " صنع النبي (ﷺ) شيئاً فرخَّص فيه فتنزه [١] عنه قوم فبلغ ذلك النبيَّ (ﷺ) فخطب فحمد الله ثم قال : (ما بَالُ أقوامٍ يتنزَّهُون لشئٍ أصنعُهُ؟ فوالله إني لأعلَمُهُم باللهِ وأشدُّهُم خشيةً) [٢] . [٣]

ومن مكارم الأخلاق النبوية الشريفة حسن السؤال عن الغائب وهو يدل على شدة عنايته بالإنسان ورحمته بالمؤمنين .

عن أبي بررة رضي الله عنه (أنَّ النبيَّ (ﷺ) كان في مَغزى [٤] له فأفاءَ الله عليهِ ، فقالَ لأصحابهِ " هلْ تَفقدُونَ منْ أحدٍ ؟ " قالُوا : نعمْ ، فُلاناً وفُلاناً وفُلاناً ثم قال: (هل تفقدُونَ من أحدٍ؟) قالُوا : نعم فُلاناً وفُلاناً وفُلاناً .ثم قال :(هل تفقدُونَ من أحدٍ؟) قالوا: لا قال : لكنيِّ أفقد جُليبيباً[٥] فاطْلُبُوهُ)) فطُلبَ في القْتلىَ فوجدُوهُ إلى جنبِ سبعةٍ قد قتلهمْ ثم قتلُوهُ فأتى النبيُّ (ﷺ) فوقفَ عليهِ فقال: (قَتل سبعةً ثم قتلوهُ هذا منّي وأنا منهُ وهذا منّي[٦] وأنا

---

[١] يتنزهون عنه : أي تركوه وأبعدوا عنه ، ولم يعملوا بالرخصة منه وقد نزه نزاهة ، وينزه تنزها إذا بُعد ، النهاية ٤٣/٥

[٢] اخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب باب من لم يواجه الناس بالعتاب ٦١٠١/٦٨/٤

[٣] كان النبي (ﷺ) رفيقاً بأمته فلذلك خفف عنهم العتاب لأنهم فعلوا ما يجوز لهم من الأخذ بالشدة ، ولو كان ذلك حراماً لأمرهم بالرجوع إلى فعله ، أما المعاتبة : فقد حصلت منه لهم بلا ريب وإنما لم يميز الذي صدر منه ذلك ستراً عليه ، فحصل منه الرفق من هذه الحيثية لا يترك العتاب أصلا ، وأما استدلاله بكون ما فعلوه غير حرام فواضح من جهة أنه يلزمهم بفعل ما فعله هو . وفي الحديث : الحث على الاقتداء بالنبي (ﷺ) وذم التعمق والتنزه عن المباح وحسن العشرة عند الموعظة والإنكار والتلطف في ذلك ، فتح الباري ٥٣٠/١٠

[٤] مغزى : موضع الغزو وقد يكون الغزو نفسه ، النهاية ٣٦٦/٣ .

[٥] جُليبيبا : كان ذو دهامة وقصر وغزا مع رسول الله (ﷺ) بعض غزواته ، الاستيعاب ٣٣٦/١ ، ا سد الغابة ٣٤٨/١.

[٦] أنا منه وهو مني : المبالغة في اتحاد طريقهما واتفاقهما في طاعة الله تعالى، شرح النووي ٢٤/٨ .

مِنهُ) قال: فوضَعهُ على ساعديهِ ، لَيسَ لهُ إلا ساعِدَا النبيَّ (ﷺ) قال: فحُفِرَ له ووضِعَ في قبرهِ ولم يذُكرْ غَسلاً).[١]

ومن أدبه الكريم (ﷺ) أنه ربما خدم أصحابه فيسقيهم الماء مثلاً ما رُوي عن عبدالله بن أبي أوفى أن النبي (ﷺ) قال : (سَاقِي القومِ آخِرُهُمْ شُرْباً) [٢] .

ومن مكارم أخلاقه (ﷺ) أنه لم يدخل منزلاً دون استئذان وكان إذا أتى المنزل لم يأته من قِبل الباب .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : (كنت في مجلس من مجالس الأنصار إذ جاء أبوموسى كأنه مذعور فقال : استأذنت على عمر ثلاثاً فلم يُؤذن لي فرجعت فقال ما منعك؟ قلت : استأذنت ثلاث فلم يُؤذن لي فرجعت ، وقال رسول الله (ﷺ) (إذا استأذنَ أحدُكُم ثلاثاً فلم يُؤذن له فليرجع) . [٣]

ومن أدبه الكريم (ﷺ) أنه كان يلقي السلام على الصبيان وعلى النساء .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه (مرَّ على صبيان فسلَّم عليهم وقال : كان النبي (ﷺ) يفعله) . [٤]

وكان اختيار الأمر الأيسر منهجاً أخلاقياً محبباً لربه (ﷺ) لكنه اختيار مشروط بالخيرية الشرعية لا بالشرية وإلا كان أسبق إلى هجره .

---

[١] أخرجه مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابه باب من فضائل جليبيب رضي الله عنه ٤/٢٢٤/٢٤٧٢ .
[٢] أخرجه مسلم في صحيحه كتاب المساجد باب قضاء الصلاة الغائبة ١/٤٩١/٣١١ ، وأبوداود في سننه كتاب الأشربه باب في المساقي متى يشرب ٣/٣٣٧/٣٧٢٥ .
[٣] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأستئذان باب التسليم والاستئذان ثلاثاً ٤/٩٠/٦٢٤٥ .
[٤] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب باب التسليم على الصبيان ٤/٩١/٦٢٤٧ .

روي عن عائشه رضي الله عنها أنها قالت : (ما خُيّر رسول الله (ﷺ) بين أمرين قطُّ إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً ، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه ، وما انتقم رسول الله (ﷺ) لنفسه في شئ قط إلا أن تُنتهك [١] حُرمة الله فينتقم بها لله عَزَّ وجَّل)[٢] .

وفي هذا الحديث استجاب الأخذ بالأيسر والأرفق ما لم يكن حراماً أو مكروها [٣].

ومن سمو أخلاقه (ﷺ) ومكارم أدابه أنه (ﷺ) كان يخدم أهله داخل البيت وربما خدم نفسه حيث كان يرقَّع الثوب ، ويصلح النعل ودليل ذلك ما يروى عندما سُئلت عائشة رضي الله عنها (ما كان النبي (ﷺ) يصنع في البيتِ ؟ قالت : كان في مهنةِ أهلهِ [٤]فإذا سَمِع الأذان خرج)[٥].

ومن مكارم أخلاقه (ﷺ) أنه كان متفائلاً دائماً ولم يكن متشائماً ومن هنا أن التشاؤم حرام شرعاً .

---

[١] تنتهك : أي خرق محارم الشرع وإتيانها ، النهاية ١٣٧/٥ .

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب باب من قول النبي (ﷺ)يسروا ولا تعسروا " ، ٦١٢٦/٧١/٤ ، ومسلم في صحيحه كتاب الفضائل باب مباعدته (ﷺ)للأثام ، ٧٧/١١٨/٤ .

[٣] شرح النووي ٧٠/٨

[٤] قولها رضي الله عنها (في مهنة أهله) فُسرت بالخدمة وقيل الحذق بالخدمة والعمل واستدل بالحديث على أنه لا يُكره التشمير في الصلاة ، وأن النهي عن كف الشعر والثياب للتنزيه ، بكونها لم تذكر أنه أزاح عن نفسه هيئة المهنة كذا ذكره ابن بطال ومن تبعه ، وفيه نظر لأنه يحتاج إلى ثبوت أنه كان له هيئتان ، ثم لا يلزم من ترك ذكر الهيئة للصلاة عدم وقوعه ، وفيه الترغيب في التواضع وترك التكبر وخدمة الرجل أهله ، فتح الباري ٤٧٥/١٠.

[٥] اخرجه البخاري في صحيحه كتاب النفقات باب خدمة الرجل في أهله ٥٣٦٣/٢٩٠/٣ .

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله (ﷺ) قال : (لا عَدْوَى ولا طِيرةَ [١] والشُؤْمُ [٢] في ثَلاثٍ في المرأةِ والدَّارِ والدَّابة) .[٣]

ومن آدابه (ﷺ) أنه كان يأكل بيمينه وأنه كان يأكل مما يليه ولم يَعب طعاماً أبداً .

عن عمر بن أبي سلمه رضي الله عنهما قالَ: (كُنتُ في حَجرِ رسولِ الله (ﷺ) وكانتْ يَدي تَطيشُ[٤] في الصَّفحةِ فقالَ لي: (يا غُلامُ! سَمَّ الله وكُلْ بيمينكَ وكُلْ مِمَّا يَليكَ).[٥]

أما حلمه (ﷺ) فقد بلغ منه الغاية القصوى إذ تبدى ذلك في صبره على الدعوة والجهاد إلى حد لا يمكن وصفه .

عن أنس الجهني رضي الله عنه (عن النبي (ﷺ) قال: من كَظم غيظاً وهو يستطيع أن يُنفذه دعاهُ الله يوم القيامة على رؤوسِ الخلائق حتى يُخَيرهُ في أي الحورِ شاء).[٦]

ومن خلقه (ﷺ) أنه لم يكن ذا فُحش في قول أو فعل أو صفة ، ولم يكن يتكلف .

---

[١] طيرة : الطيرة بكسر الطاء وفتح الباء هي التشاؤم بالشئ النهاية ١٥٢/٣ .
[٢] الشؤم : ضد اليمن يقال : تشاءمت بالشئ وتيمنت به النهاية ٥١١/٢ .
[٣] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الطب باب الطيرة ٥٧٥٣/٢١/٤ .
[٤] تطيش : أي تخف وتتناول من كال جانب ، النهاية ١٥٣/٣ .
[٥] أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الأشربة باب آداب الطعام والشراب ٢٠٢٢/٤٦٣/٣ .
[٦] أخرجه أبوداود في سننه كتاب الأدب باب من كظم غيظاً ٤٧٧٧/٢٤٨/٤ ، والترمذي في سننه كتاب البر والصلة باب من كظم الغيظ ٢٠٢١/٣٧٢/٤ ، قال أبوعيسى حديث حسن غريب .

عن عبدالله الجدلي رضي الله عنه يقول : (سألت عائشة رضي الله عنها عن خُلق رسول الله (ﷺ) فقالت : لم يكن فاحشاً [١] ولا مُتفحشاً ولا صخَّاباً [٢] في الأسواق ، ولا يُجزئ بالسيئةِ السيئة ولكن يَعفو ويصفح [٣]). [٤]

عن مسروق رضي الله عنه قال : (دخلنا على عبدالله بن عمرو حين قدم معاوية إلى الكوفة فذكر رسول (ﷺ) فقال : لم يكن فاحشاً ولا مُتفحَّشاً وقال رسول الله (ﷺ) إنَّ من خِياركُم أحاسِنُكُم أخلَاقاً قال عبدالله بن عمرو إن رسول الله (ﷺ) لم يكن فاحشاً ولا مُتفحَّشاً وقال (إن من أحبكم إليّ أحسنكم أخلاقاً [٥]) [١] .

---

[١] فاحشاً ولا متفحشاً : الفاحش ذو الفحش في كلامه وفعاله ، والمتفحش : الذي يتكلف ذلك ويتعمده ، النهاية ٤١٥/٣ .

[٢] صخاباً : الصّخب والسخب : الضجة ، واضطراب الاصوات للخصام وفعول وفعال للمبالغة النهاية ١٤/٣

[٣] أخرجه الترمذي في سننه كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في خلق النبي (ﷺ) ٢٠٢٣/٤٠٩/٣ ، قال أبوعيسى حديث حسن صحيح.

[٤] أصل الفُحش الزيادة والخروج عن الحق ، قيل : الفاحش البذئ ، الفاحش ذو الفحش والمتفحش الذي يتكلف الفحش ويتعمده لفساد حاله ، المتفحش الذي يأتي الفاحشه (قولها رضي الله عنها صخاباً) أي صياحاً (ولا يجزئ بالسيئة السيئة) بل بالحسنة (ولكن يعفو) أي في الباطن (ويصفح) أي يعرض في الظاهر عن صاحب السيئة لقوله تعالى (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ). سورة المائدة آية ١٣ ،تحفة الأحوذي ٢٤/٦ ، إكمال المعلم ٢٧٣/٧ .

(٥) قوله (ﷺ) (أن من خياركم أحاسنكم أخلاقاً) وفي وصف النبي (ﷺ) في الحديث بُعد : أحسن الناس خلقاً ، حسن الخلق من صفات الأنبياء والأولياء ، وحسن الخلق اعتدالها بين طرفي مذمومها .

وحسن الخلق : هو مخالطة الناس بالجميل والبشر والتودد بهم، والإشفاق عليهم واحتمالهم والحلم عنهم والصبر عليهم في المكارة وترك الكبر والاستطالة عليهم ومجانبة الغلط والمؤاخذة واستعمال الغضب والسلاطة والغلظة قال تعالى :(وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ) سورة آل عمران آية ١٥٩ .

عن جابر أنَّ رسولَ الله (ﷺ) قال : (إن من أحبكُمْ [٢]إليّ وأقربكُمْ منيّ مَجلِساً يومَ القيامةِ أحاسِنكمْ أخلاقاً ، وإنَّ من أبغضكُمْ إليّ وأبعدكُمْ منِّي مجلساً يومَ القيامةَ الثرثارونَ)[٣] والمتشدقونَ [٤] ، والمتفيهقونَ [٥] قالوا يا رسول الله (ﷺ) قد علمنا الثرثارينَ والمتشدقينَ فما المتفيهقونَ ؟ قال المتكبرونَ) [٦]

.

= وفي هذا الحديث الحث على حسن الخلق وبيان فضيلة صاحبه وهو صفة أنبياء الله تعالى وأوليائه قال الحسن البصري : حقيقة حسن الخلق بذل المعروف وكف الأذى وطلاقة الوجه ، شرح النووي ٦٦/٨ ، إكمال المعلم ٢٧٤/٧ .

[١] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب باب حسن الخلق ٦٠٣٥/٥٨/٤ ، ومسلم في صحيحه كتاب الفضائل باب كثرة حيائه (ﷺ) ٦٨/١١٥/٤

[٢] أفعل التفضيل إذا أضيف على معنى فإن المراد به زائد على المضاف إليهم في الخصلة التي هم مشتركون فيها لذلك جاز الإفراد والتذكير في الحالات كلها ، وتطبقه لما هو وصف له لفظاً ومعنى .وقد جمع الوجهان في الحديث فأفرد أحب وأبغض وجمع أحاسن وأساوئ ، في رواية من روى أساويكم بدل مساويكم ، وهو جمع مسوئ كمحاسن في جمع محسن وهو إما مصدر ميمي نعت به ثم جمع أو اسم مكان بمعنى الأمر الذي فيه السوء فأطلق على المنعوت به مجازاً .

قال الدراقطني : أراد بأبغضكم بغيضكم وبأحبكم التفضيل فلا يكون المخاطبون بأجمعهم مشتركين في البغض والمحبة . وقيل : تقديره أحب المحبوبين منكم ، وأبغض المبغوضين منكم ويجوز اطلاق العام وإرادة الخاص لقرينه .

قال الطيبي : إذا جعل الخطاب خاصاً بالمؤمنين فكما لا يجوز أبغضكم لا يجوز بغيضكم لاشتراكهم في المحبة، فالقول ما ذهب إليه ابن الحاجب لأن الخطاب عام يدخل فيه البر والفاجر والموافق والمنافق ، فإذا أريد به المنافق الحقيقي فالكلام ظاهر وإذا أريد به غير الحقيقي كما يدل عليه قوله الثرثارون ، تحفة الأحوذي ١٢٧/١٢٦/٦ .

[٣] الثرثارون : هم الذين يكثرون الكلام تكلفا وخروجاً عن الحق والثرثرة فكثرة الكلام وترديده ، النهاية ٢٠٩/١ .

[٤] المتشدقون : هم المتشدقون في الكلام من غير احتياط واحتراز وقيل أراد بالمتشدق المستهزئ بالناس يلوي شدقه بهم وعليهم ، النهاية ٥٣/٢ .

[٥] المتفيهقون : هم الذين يتوسعون في الكلام ويفتحون به أفواههم مأخوذ من الفهق وهو ا لامتلاء والاتساع ، النهاية ٤٨٢/٣ .

[٦] أخرجه الترمذي في سننه كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في معالي الأخلاق ٢٠٢٥/٤٠٩/٣ ، قال أبوعيسى حديث حسن غريب ..

ومن مكارم أخلاقه (ﷺ) زيارته الأهل والأقارب وصلة الأرحام ، عن أنس بن مالك رضي الله عنهما قال : قال كان رسول الله (ﷺ)أحسن الناس خُلقاً ، وكان له أخُ يُقال له أبوعُمير قال : أحسبه قال : كان فَطِيماً قال : فكان إذا جاء رسول الله (ﷺ) فرأه قال : (أبَاعُمير ما فَعلَ النُّغيرُ [١] قال فكان يَعلب به)[٢] .[٣]

ومن حسن خلقه (ﷺ) البر والإحسان إلى الغير .

رُوى عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال : (سألتُ رسولَ الله (ﷺ) عن البرُ والإثمِ ؟ فقالَ (البرُّ[٤] حُسنُ الخُلق والإثمُ [٥] ما حَاكَ [٦] في صدرِكَ وكرِهتَ أن يطَّلعَ عليهِ الناسُ)[٧].[٨]

---

[١] النغير : هو تصغير النُّغر وهو طائر يُشبه العصفور ، أحمر المنقار ويجمع على نغران ، النهاية ٨٦/٥

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب ، باب الكنية للصبي ٦٢٠٣/٨٣/٤ ، ومسلم في صحيحه كتاب الآداب باب استحباب جواز تكنية من لم يولد له ٣٠/٥٥٧/٣ .

[٣] ففي هذا الحديث بيان ما كان عليه النبي (ﷺ) من حسن الخلق وكرم الشمائل والتواضع ، وزيارة الأهل لأن أم سُليم والدة أبي عُمير هي من محارمه (ﷺ) ، فتح الباري ٥٩٨/١٠ ، شرح النووي ١٠٧/٨ .

[٤] البر : بالكسر الإحسان ، النهاية ١١٦/١ .

[٥] الإثم : الذنب وقيل هو أن يعمل ما لا يحل له لسان العرب ٥٦/١

[٦] حاك : يُقال حاك الشئ في نفسي إذا لم يكن شُرح الصدر به وكان في قلبك منه شئ من الشك والرّيب وأوهمك أنه ذنب وخطيئة ، النهاية ٤١٨/١ .

[٧] أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة ، باب تفسير البر والأثم ، ١٤/٢٨٥/٤ .

[٨] البر يكون بمعنى الصلة وبمعنى اللطف والمبرة وحسن الصحبة والعشرة ، وبمعنى الطاعة وهذه الأمور هي مجامع حسن الخلق، ومعنى حاك في صدرك أي تحرك فيه ولم يشرح له الصدر وحصل في القلب منه الشك وخوف كونه ذنباً ، شرح النووي ٩٤/٨.

وكان النبي (ﷺ) يستعيذ من سوء الأخلاق :

رُوى عن أبي هريرة رضي الله عنه (أن رسول الله (ﷺ) كان يدعو يقول : اللهمَّ إني أعوذُ بك من الشَّقاق [١] والنفاق [٢] وسوءِ الأخلاق .) [٣]

وعن زياد بن علاقة عن عمه رضي الله عنهما قال : (كان رسول الله (ﷺ) يقول : (اللَّهمَّ إنيِ أعوذُ بكَ من منكراتِ الأخلاق[٤] والأعمالِ والأهواءِ). [٥]

ومن حسن خلقه (ﷺ) في معاملته للخدم ما رُوي عن أنسٍ بن مالك رضي الله عنهما قال : (خدمتُ رسولَ الله (ﷺ) عشرَ سنين فما قال لي أُفّ قطُّ [٦] ، وما قال لشئ صنعتهُ لم صنعتَه [١] ؟ ولا لشئٍ تركتُه لم تركتُه ؟ وكان

---

[١] الشقاق : غلبه العداوة والخلاف ومنه قوله تعالى (بل الذين كفروا في عزة وشقاق) سورة ص آية ٢ ، لسان العرب ١١٢/٨ مادة شقق

(٢) وقال الطيبي : أن تظهر لصاحبك خلاف ما تضمره ، وقيل النفاق في العمل بكثرة كذبه وخيانة أمانته وخلف وعده والفجور في مخاصمته (وسوء الأخلاق) من عطف العام على الخاص ، وفيه إشعار بأن المذكورين أولا أعظم الأخلاق السيئة لأنه يسري ضررهما إلى الغير ولإضافة القرينتين الأوليين من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف وفي الثالثة بيانيه لأن ا لاهواء كلها منكره ، عون المعبود ٤/ ٤٠٥ ، تحفة الأحوذي ٤٠/١٠ .

(٣) أخرجه وأبوداود في سننه كتاب الصلاة باب في الاستعاذة ١٥٤٦/٩٣/٢٥ ، والنسائي في سننه كتاب الاستعاذة باب الاستعاذة من الشقاق والنفاق وسؤ الأخلاق ٢١/٢٦٤/٨ .

[٤] قوله (ﷺ) (أللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق)
المنكر ما لا يُعرف حسنه من جهة الشرع ، أو ما عُرف قبحه من جهته والمراد بالأخلاق الأعمال الباطنة ، والأعمال الأفعال الظاهرة (والأهواء) جمع الهوى مصدر هواه إذا أحبه ثم سمى بالهوى المستشهى محمود كان أو مذموماً ثم غلب على غير المحمود
قال الطيبي : الإضافة في القرينتين الأوليين من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف وفي الثالثة بيانية لأن الأهواء كلها منكرة ، تحفة الاحوذي ٤٠/١٠ .

(٥) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب الدعوات ، باب دعاء أم سلمه ، ٣٦٠٢/٣٤٠/٥ ، قال ابوعيسى حديث حسن غريب.

[٦] قوله (والله ما قالي لي أف قط) قال الراغب : أصل الأف كل مستقذر من وسخ كقلامة الظفر وما يجري مجراها ، ويقال ذلك كل مستخف به ويقال أيضا عند تكره الشئ وعند التضجر من الشئ ، فتح الباري ، ٤٧٥/١٠ .

رسولُ الله (ﷺ) من أحسنِ الناس خُلُقاً وما مسستُ خَزّاً قطُّ ولا حَريراً ولا شيئا كان ألينَ من كفِّ رسول الله (ﷺ) ولا شممتُ مِسكاً قطُّ ولا عِطراً كان أطيبَ من عَرق رسولِ الله (ﷺ)[٢])[٣] .

(١) قوله (وما قال لشئ صنعته لم صنعته) فيه أن ترك اعتراض النبي (ﷺ) على أنس رضي الله عنه فيما خالف أمره إنما يفرض فيما يتعلق بالخدمة والآداب لا فيما يتعلق بالتكاليف الشرعية فإنه لا يجوز ترك الاعتراض فيه ، وفيه أيضا مدح أنس فإنه لم يرتكب أمراً يتوجه إليه من النبي (ﷺ) اعتراض ، ما في الحديث بيان حسن خلقه (ﷺ) وحسن عشرته وحلمه وصفحه ، تحفة الأحوذي ١٢٤/١٢٣/٦ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب باب حسن الخلق والسخاء ٦٠٣٨/٥٨/٤ ، والترمذي في سننه كتاب البر والصلة باب ما جاء في خلق النبي (ﷺ)٢٠٢٢/٤٠٨/٣ .

(٣) يستفاد من هذا الحديث ترك العقاب على ما فات ، لأن هناك مندوحة عنه باستئناف الأمر به إذا احتيج إليه ، وفائدة تنزيه اللسان عن الزجر والذم واستئلاف خاطر الخادم بترك معاتبته ، وكل ذلك في الأمور التي تتعلق بحظ الإنسان ، وأما الأمور اللازمة شرعاً فلا يتسامح فيها لأنها من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فتح الباري ٤٧٥/١٠ .

المبحث الثالث

نماذج من الأخلاق التي يجب أن يكون عليها المسلم

أولاً: الحياء :[١]

على المسلم أن يتحلى بالأخلاق الإسلامية الحميدة كالحياء والحلم والعفو والإحسان للغير والتواضع وعدم الكبر .

إن الحياء من الإيمان لأنه يمنع الإنسان عن فعل المعاصي فعلى كل مسلم أن يتحلى بخلق الحياء حتى يفوز بسعادة الدراين .

عن طلحة بن رُكانه رضي الله عنه يرفعه إلى النبي (ﷺ)قال :(قال رسول الله (ﷺ) لكلَّ دينٍ خُلقُ ، وخُلقُ الإسلامِ الحياء). [٢]

إن أحاديثُ النبي (ﷺ) لتشير إلى قيمة الحياء وأهميته في انقباض النفس عن القبيح، وهو من خصائص الإنسان ليرتدع عن ارتكاب كل ما يشتهي ، فلا يكون كالبهيمة ، هو مركب من خير وعفه ، ولذا لا يكون المستحي شجاعاً ، وقلّما يكون الشجاع مستحيياً ، فكل دين سجيه شُرعت فيه وخص أهل ذلك الدين عليها ، فالحياء طبع هذا الدين وسجيته التي بها قوامه ومروءة الإسلام التي بها جماله الحياء . [٣]

وكذلك جعل الإسلام خلق الحياء سمة من السمات المقومة للإيمان والمتمة له لقول الرسول (ﷺ) فيما رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن

---

[١] الحياء : هو خلق يبعث على ترك القبيح ، ويمنع من التقصير في حق ذو الحق ، وقيل هو انقباض النفس من الشئ وتركه حذراً عن اللوم فيه ، وقيل هو الحشمة أو الاحتشام ، النهاية ٤٧٠/١ ، تعريفات الجرجاي ٩٩ .

[٢] أخرجه مالك في الموطأ كتاب حسن الخلق باب ما جاء في الحياء ، ٩/٦٩، وابن ماجه في سننه كتاب الزهد باب الحياء ٨١/١٣٩٩/٢

[٣] حاشية موطأ مالك ٦٩٠ بتصرف .

النبي (ﷺ) قـــــال (الإيمانُ بِضْعٌ[١] وستُونَ شُعبةً [٢] والحياءُ شُـعبةٌ مـن الإيمانِ) [٣] .

قال القاضي عياض[٤] :

إنما جُعل الحياء من الإيمان ، وإن كان غريـزة لأن اسـتعماله علـى قانون الشرع يحتاج إلى قصد واكتساب وعلم ونية ، وأما كونه خيرا كلـه لا يأتي إلا بخير، فأشكل حمله على العموم لأنه قد يصد صاحبه عن مواجهة مـن يرتكب المنكرات ويحمله على الإخلال ببعض الحقوق .

الجواب :

إن المراد بالحياء في هذه الأحاديث ما يكون شرعياً ، والحياء الـذي ينشأ عنه الإخلال بالحقوق ليس حياء شرعياً بل هو عجـز ومهانـة ، وإنمـا يطلق عليه حياء لمشابهته للحياء الشرعي وهو خلق يبعث على ترك القبيح .

قال ابن حجر : [٥]

ويحتمل أن يكون أشير إلى أن من كان الحياء مـن خلقـه أن الخيـر يكون فيه أغلب فيضمحل ، فالعلة يقع منه ما ذكر في حين يحصل له بالحيـاء

---

[١] بضع : البضع في العدد بالكسر وقد يفتح ما بين الثلاث إلى التسع ، وقيل ما من الواحد إلى العشرة ، النهاية ١٣٣/١ .
[٢] شعبه : الشعبة فهي القطعة من الشئ ، النهاية ٤٧٧/٢ .
[٣] أخرجه البخاري في صحيحة كتاب الإيمان باب أمور الإيمان ٩/١٣/١ ، ومسلم في سننه كتاب الإيمان باب بيان عدد شعب الإيمان ٥٧/٧٠/١ .
[٤] إكمال المعلم ١٩٥/١ بتصرف .
[٥] فتح الباري ٥٣٩/١٠ .

من الخير، أو لكونه إذا صار عادة وتخلق به صاحبه يكون سبباً لجلب الخير إليه فيكون منه الخير بالذات والسبب.

وقال أبو العباس القرطبي : [١]

الحياء المكتسب هو الذي جعله الشارع من الإيمان وهو المكلف به دون الغريزي، غير أن من كان فيه غريزة منه وأنها تعينه على المكتسب ، وقد ينطبع بالمكتسب حتى يصير غريزاً ، قال وكان النبي (ﷺ) قد جمع له النوعان فكان في الغريزي أشد حياء من العذراء في خدرها ، وكان في الحياء المكتسب في الذروة العليا (ﷺ) .

قال القاضي عياض : [٢]

إنما جُعل الحياء من الإيمان وإن كان غريزة ، لأنه قد يكون تخلقاً واكتساباً كسائر أعمال البر ، وقد يكون غريزة ، ولكن استعماله على قانون الشرع يحتاج إلى اكتساب ونية وعلم فهو من الإيمان بهذا ، ولكونه باعثاً على أفعال البر ومانعاً من المعاصي .

فقد يشكل على بعض الناس من حيث إن صاحب الحياء قد يستحي أن يواجه بالحق ما يجلّه فيترك أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ، وقد يحمله الحياء على الإخلال ببعض الحقوق وغير ذلك مما هو معروف في العادة .

---

[١] المفهم للقرطبي ١/١٣٥/١٣٦ بتصرف .
[٢] إكمال المعلم ١/٢٧٣ .

وجواب هذا : ما أجاب به جماعة من الأئمة منهم الشيخ أبوعمرو بن الصلاح رحمه الله أن هذا المانع الذي ذكرناه ليس بحياء حقيقة بل هو عجز وجور ومهانة .

وإنما تسميته حياء من إطلاق بعض أهل العرف ، أطلقوه مجازاً لمشابهته الحياء الحقيقي ، وإنما حقيقة الحياء خلق يبعث على ترك القبيح ويمنع من التقصير من حق ذي الحق ونحو هذا .

فإن قيل الحياء من الغرائز فكيف جُعل شعبة من الإيمان ؟

أجيب بأنه قد يكون غريزة وقد يكون تخلّقاً ، ولكن استعماله على وفق الشرع يحتاج إلى اكتساب وعلم ونية ، فهو من الإيمان لهذا ، ولكونه باعثاً على فعل الطاعة وحاجزاً عن فعل المعصية ولا يُقال رب حياء يمنع عن قول الحق أو فعل الخير ، لأن ذلك ليس شرعياً ، فإن قيل : لم أفرده بالذكر هنا ؟ أجيب بأنه كالداعي إلى باقي الشعب ، إذ الحيي يخاف فضيحة الدنيا والآخرة فيأتمر وينزجر .[١]

أن الشعب يتفرع عن أعمال القلب ، وأعمال اللسان وأعمال اليدين.

فأعمال القلب : فيه المعتقدات والنيات وتشتمل على أربع وعشرين خصلة :

الإيمان بالله ويدخل فيه الإيمان بذاته وصفاته وتوحيده بأنه ليس كمثله شئ ، واعتقاد حدوث ما دونه . والإيمان بملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره والإيمان باليوم الآخر ، ويدخل فيه المسألة في القبر والبعث والنشور ،

---

[١] فتح الباري ٦٩/٦٨/١٠ ، إكمال المعلم ٢٧٣/١

والحساب والميزان والصراط والجنة والنار ومحبة الله والحب والبغض فيه ، ومحبة النبي (ﷺ) واعتقاد تعظيمه ، ويدخل فيه الصلاة عليه واتباع سننه والإخلاص ، ويدخل فيه ترك الرياء والنفاق والتوبة والخوف والرجاء والشكر والوفاء والصبر و الرضا بالقضاء والتوكل والرحمة والتواضع ، ويدخل فيه توقير الكبير ورحمة الصغير وترك الكبر والعجب وترك الحسد وترك الحقد وترك الغضب .

وأعمال اللسان :

وتشتمل على سبع خصال : التلفظ بالتوحيد وتلاوة القرآن وتعلم العلم وتعليمه والدعاء والذكر ويدخل فيه الاستغفار واجتناب اللغو .

وأعمال البدن :

وتشتمل على ثمان وثلاثين خصلة منها: ما يختص بالأعيان وهي خمس عشرة خصلة : التطهير حساً وحكماً ، ويدخل فيه اجتناب النجاسات وستر العورة والصلاة فرضا ونفلا والحج والعمرة كذلك والطواف والاعتكاف ، والتماس ليلة القدر والفرار بالدين ، ويدخل فيه الهجرة من دار الشرك والوفاء بالنذر والتحري في الايمان وأداء الكفارات ، ومنها ما يتعلق بالاتباع وهي ست خصال : التعفف بالنكاح والقيام بحقوق العيال وبر الوالدين وفيه اجتناب العقوق وتربية الأولاد وصلة الرحم وطاعة السادة أو الرفق بالعبيد .

ومنها ما يتعلق بالعامة وهي سبع عشرة خصلة :

القيام بالأمر مع العدل ومتابعة الجماعة وطاعة أولى الأمر ، الإصلاح بين الناس ، ويدخل فيه قتل الخوارج والبغاة ، والمعاونة على البر ويدخل فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحدود ، والجهاد ومنه المرابطة

وأداء الأمانة ، وفيه أداء الخمس والقرض مع وفائه وإكرام الجار وحسن المعاملة ، وفيه جمع المال من حله وإنفاق المال في حقه ، وفيه ترك التنديد والإسراف ورد السلام وتشميت العاطس ، وكف الأذى عن الناس واجتناب اللهو وإماطة الأذى على الطريق .[١]

وفي الإسلام أيضا ربط بين الحياء وبين الخيرات وهذا مصدر من مصادر السعادة ، التي ضل عنها المعرضون عن منهج الله تعالى .

عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : (قال النبي (ﷺ) الحياءُ لا يأتي إلا بخيرٍ) [٢]

وفي حديث آخر إشارة إلى ضرورة الحياء وكونه مصدر زينة روحية وجمال روحي.

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال : (ما كان الفحشُ [٣] في شئٍ قط إلاّ شأنهُ [٤] ، ولا كان الحياءُ في شيءٍ قط إلا زانهُ [٥]). [٦]

<u>استحى استحياء يأتي بمعنين :</u>

<u>أولهما</u> : الاستحياء الذي هو من الحياء بمعنى الخجل والاحتشام ، والاستحياء المسند إلى الله معناه ترك الفعل .

---

[١] فتح الباري ٦٩/٦٨/١٠

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب باب الحياء ٦١١٧/٧٠/٤

[٣] قال الطيبي : قوله فيه مبالغة أي لو قدّر أن يكون الفحش أو الحياء في جماد لزانه أو شانه فكيف بالإنسان ، تحفة الأحوذي ٨١/٦ .

[٤] شأنه الشين أي العيب ، النهاية ٥٢١/٢ .

[٥] زانه : أي زينه ، النهاية ٣٢٦/٢ .

[٦] أخرجه الترمذي في سننه كتاب البر والصلة باب ما جاء في الفعل والتفحش ١٩٨١/٣٩٢/٣ ، قال ابوعيسى حديث حسن غريب وابن ماجه في سننه كتاب الزهد باب الحياء ١٨٥٠/١٤٠٠/٢ .

ثانيهما : استحياه استحياء أي أبقى حياته وترك قتله . [١]

قال تعالى : فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا " [٢] أي على خجل واحتشام .

قال جلا وعلا (وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ) [٣] والمراد أنه لا يترك تقرير الحق .

قال جل شأنه : " قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ " [٤] هو هو من الإحياء وإبقاء الحياة .

أنواع الحياء :

أولاً: الحياء نفساني أو فطري :-

وهو الذي خلقه الله تعالى في كل النفوس ومثاله : كالحياء من كشف العورة أمام الناس ، والجماع بين يدي الناس .[٥]

فما بالنا بالمرأة المتبرجة ، التي تستهويها دعاية السوء في موضع الأزياء فتكشف عن ساقيها ، أو تسمح بإظهار ساقيها أو تسمح بإظهار ما حرم الله عز وجل وهي بهذا قد فقدت الحياء الفطري ، كما أنها فقدت رضاء الله تعالى عنها وهو أعز ما يتطلع إليه المؤمن الطاهر [٦] .

---

[١] الأخلاق وقواعد السلوك ٦٩ .
[٢] سورة القصص آية ٢٥ .
[٣] سورة الاحزاب آية ٥٣
[٤] سورة غافر آية ٢٥ .
[٥] تعريفات الجرجاني ٩٩
[٦] الأخلاق الإسلامية د/ عبداللطيف محمد العبد ٥٥/٥٦

فستر العورات مما يدعوا إليه الحياء ، ولما كان أدب ستر العورة مظهر من مظاهر الكمال ويدعو إليه خلق الحياء الذي هو أثر من أثار علو الهمة فقد أمر الإسلام به ودعا إليه .

عن يعلي بن أمية عن أبيه رضي الله عنهما قال : قال رسول الله (ﷺ) (إنَّ الله عزَّ وجلَّ حَيِيٌّ سِتِّيرُ فإذا أراد أحدُكْم أن يغتسل فليتوار بشئ) [١] .

وكون الله حييّاً ستير قد يكون المراد منه أنه يستر عيوب عباده ويستر قبائحهم ويحب منهم أن يستروا عيوبهم وعوراتهم .

ثانياً: الحياء الإيماني :

وهو أن يمنع المؤمن عن فعل المعاصي خوفاً من الله عز وجل [٢] .

عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال :(قال رسول الله (ﷺ) دَعْهُ فإنَّ الحَياءَ من الإيمانِ)[٣].

فإذا تحلى المسلم بهذا الخلق ، صحت سريرته وعلانيته ، وعامل الخلق بما يرضاه مولاه ، كما أن هذا المؤمن لا يقبل إلا المطعم والمشرب والملبس والمسكن الحلال .

أما الخجل : فليس حياء شرعياً لأن الخجل إفراط في الحياء إلى حد الاضطراب والحيرة ، ومن أجل هذا كان الخجل مذموماً لما فيه من تجاوز

---

[١] أخرجه أبوداود في سننه كتاب الغسل باب الاستتار عند الغسل ٤/٣٨/ ٤٠١٢، وأحمد في مسنده ١٤/٢٢/١٧٨٩٣ إسناده صحيح

[٢] التعريفات للجرجاني ٩٩.

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب باب الحياء ٤/٧٠/٦١١٨ .

الحد ، ولهذا ذهب الحكماء قديماً إلى أن الخجل ضعف ، وأنه قد يكون سبباً في ضياع الرزق.[١]

خصائص الحياء :

أنه يعقل المرء عن اقتراف الشرور والآثام ،وهنا نقطة التقاء بين الحياء وبين العقل الذي يعقل صاحبه عن شئ ما ،(ويشبه أن يكون خلق الحياء أثراً من آثار العقل في الإنسان) أو هو مظهر من مظاهره الكبرى [٢] .

إن فضيلة الحياء بشارة تدل على اعتدال الأخلاق ، كما تدل على صفاء القلب ونقاء الضمير ، بما يعود على الفرد والأمة الإسلامية بالأمن والعدل ، وإذا كان الحياء من الناس حساً فإن الأحسن منه كثيراً أن يكون الحياء من الله تعالى ، لأنه يمنع الإنسان من المعاصي[٣] .

وليعلم كل مسلم ومسلمة أن ما يغضب الله عز وجل ليس ضرباً من ضروب التقدم في الشرع ، اللهم إلا إذا قيست المسألة بمقياس الجاهلية الأولى .

---

[١] الأخلاق الإسلامية د/ عبداللطيف العبد ٥٦ .
[٢] الأخلاق والواجبات للشيخ عبدالقادر المغربي ٧٠ .
[٣] الأخلاق الإسلامية ٥٧ .

حياء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

أولاً: حياء محمد (ﷺ) :

كان رسول الله (ﷺ) شديد الحياء أشد حياء من العذراء في خدرها ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال :(كان النبي أشد حياء من العذراءفي خدرها).[١]

في هذا الحديث بيان لفضيلة الحياء وأن النبي(ﷺ) كان يتصف به، وهو من شعب الإيمان وهو خير كله ولا يأتي إلا بخير [٢].

ثانياً: حياء موسى عليه الصلاة والسلام :

حياء موسى عليه السلام الزائد كان من همته العالية، التي تنشد الكمال وقد رأي في ذوقه الرفيع أن ستر بدنه أكثر كمالاً من كشفه فكان يستحي من كشفه للناس .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (كان موسى عليه الصلاة والسلام رجُلاً حيياً قال : فكان لا يُرى متجّراً قال : فقال بنو إسرائيل : إنه آدّرُ [٣] فاغتسل عند مُويّه [٤] فوضع ثوبه على حجر فانطلق الحجرُ يسعى ، واتّبعهُ بعصاه يضربهُ : ثوبى حجرُ [٥] ثوبي ياحجر حتى وقف على ملاء من بني

---

[١] تقدم في ص ١٠ .
[٢] شرح النووي ٦٦/٨
[٣] آدر : بهمزة ممدودة ثم دال مهملة مفتوحة وفيه الأدرة بالضم : نفخة في ا لخصية ، النهاية ٣١/١
[٤] مويه : تصغير ماء وأصل الماء موه ويجمع على أمواه ومياه وقد جاء أمواء ، النهاية ٣٧٣/٤ .
[٥] ثوبى حجر : أي دع ثوبي يا حجر ، شرح النووي ١٠٧/٨ .

إسرائيل ونزل قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آَذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً [١]). [٢] [٣]

عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي (ﷺ) (الله أحقُّ أن يُستحيا منه منَ الناسِ)[٤] . [٥]

---

[١] سورة الاحزاب آية ٦٩ .

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير باب ولا تكونوا كالذين آذوا موسى ٤٧٩٩/١٨٠/٣ ، ومسلم في صحيحه كتاب الفضائل باب من فضائل موسى عليه ا لصلاة و ا لسلام ١٥٦/١٤٧/٤ .

(٣) قال النووي : في هذا الحديث فوائد منها :أن فيه معجزتين ظاهرين لموسى عليه السلام : إحداهما : مشي الحجر بثوبه إلى ملأ بني اسرائيل . والثانية : حصول الندب في الحجر ،ومنها وجود التمييز في الجماد كالحجر ونحوه، ومثله تسليم الحجر بمكة وحنين الجذع ونظائره ، ومنها جواز الغسل عرياناً في الخلوة وإن كان ستر العورة أفضل، وبهذا قال الشافعي ومالك وجماهير العلماء ، ومنها ما ابتلى به الأنبياء والصالحون من أذى السفهاء والجهال وصبرهم عليهم.
كان بنو إسرائيل يغتسلون عُراة ، ظاهرة أن ذلك كان جائزا في شرعهم وإلا لما أقرهم موسى على ذلك ، وكان هو عليه السلام يغتسل وحده أخذاً بالأفضل.
قوله (ثوبي يا حجر) أي أعطني وإنما خاطبه لأنه أجراه مجرى من يعقل لكونه فر بثوبه ، فانتقل عنده من حكم الجماد إلى حكم الحيوان ، فلما لم يعطه ضربه .
وقيل يحتمل أن يكون موسى أراد بضربه إظهار المعجزة بتأثير ضربه فيه ويحتمل أن يكون عن وحي .
في هذا الحديث : جواز النظر عند الضرورة لمداواة أو شبهها ، وأبدى ابن الجوزي احتمال أن يكون كان عليه مترز لأنه يظهر ما تحته بعد البلل ، فتح الباري ٤٦٠/٤٥٩/١ ، شرح النووي ١٠٨/٨ .

(٤) رواه البخاري في صحيحه كتاب الغسل باب من اغتسل عريانا وحده في الخلوة ٦٢/١ معلقاً

(٥) فإن ظاهر حديث بهز بن حكيم يدل على أن التعري في الخلوة غير جائز مطلقاً ، لكن استدل المصنف على جواز التعري في الغسل بقصة موسى وأيوب عليهما السلام .
ووجه الدلالة منه : أنهما ممن أمرنا بالاقتداء بهما ، وهذا إنما يأتي على رأي من يقول : شرع من قبلنا شرع لنا .
والذي يظهر أن وجه الدلالة منه أن النبي (ﷺ) قص القصتين ولم يتعقب شيئا منها فدل على موافقتها لشرعنا وإلا فلو كان فيهما شئ غير موافق لبينه ، فعلى هذا يجمع من الحديثين بحمل حديث بهز بن حكيم على الأفضل وإليه أشار في الترجمة ورجح بعض الشافعية تحريمه والمشهور عند متقدميهم كغيرهم الكراهة فقط ، فتح الباري ٤٦٠/١

الحياء المحمود :

هو أن يستحي الإنسان من نفسه ، وفي ذلك نوع من الترقي الوجداني ، حيث يفر المرء من توبيخ النفس وتأنيب الضمير ، فيصبح ذلك عادة له ، يضفي عليه رونقاً أدبيا ، لا سيما إذا تقدم به العمر ، إذ أنه يصبح أولى الناس بالبعد عن اللهو والجري وراء الشهوات.

إن المرء إذا تجرد من الحياء الصحيح ، يصبح مثل الذي يقف وسط الناس دون ملابس وليس هناك من حكم عليه أصدق من أنه (معتوه) . [١]

قال الشاعر :

أي كأني أرى من لا حياء له ولا أمانة وسط القوم عريانا [٢]

إن الحياء هو رأس مال الثقة بالإنسان حيث يجلّ الناس صاحبه لأمرين أشار إليهما جمال الدين الأفغاني رحمه الله تعالى هما :

الأول : إن صاحب الحياء يحترم عقله ويلتزم أحكامه في كل المواقف .

الثاني : إن صاحب الحياء هو أسبق الناس إلى احترام عهوده من حيث الصدق والوفاء .

وإذا ما استحكم خلق الحياء في نفس المسلم صده عن كل قبيح ، وقاده إلى كل أمر حسن طيب .

---

[١] الأخلاق الإسلامية ، د/ عبداللطيف العبد ٥٨ .
[٢] النوادر في اللغة ٢٣٢ .

أما إذا ضعف هذا الخلق فلن يحل محله إلا السفه والوقاحة والفحـــش، ووجد ذلك الإنسان نفسه أمام أبواب مفتحة من السوء والمنكر فينزلق إليها ، وما أشد ما يعانيه مجتمع يبتلى بمثل هذا السفيه وذلك مصداق ما رُوى عـــن أبي مسعود رضي الله عنه قال : قال النبي (ﷺ) (إنَّ مِمَّا أدركَ الناسُ من كلامِ النُبوَّة الأُولَى إذا لم تَستحِ فاصنْع ما شِئتَ)[١].[٢] [٣]

إذا كان الحياء يدفع إلى ترك المعاصي وفعل الخيرات فإن افتقاده دافع قوي إلى فعل المعاصي والوقوع في حدود الله .

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب ، باب إذا لم تستح فاصنع ما شئت ٦١١٩/٧٠/٤

(٢) قوله (فاصنع ما شئت) : الحكمة في التعبير بلفظ الأمر دون الخبر في الحديث أن الذي يكف الإنسان عن مواقعة الشر هو الحياء فإذا تركه صار كالمأمور طبقا بارتكاب كل شر . وعلى هذا يكون قوله (ﷺ) (فاصنع ما شئت) أمر إباحه لأن الفعل إذا لم يكن منهياً عنه شرعاً كان مباحاً، ومنهم من فسر الحديث بأنك إذا كنت لا تستحي من الله تعالى ولا تراقبه فأعط نفسك مناها، وأفعل ما تشاء فيكون الأمر فيه للتهديد لا للإباحه ويكون كقوله: (اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ) سورة فصلت آية ٤٠ ، أو كقوله: (وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ) سورة الاسراء آية ٦٤.

ومعناه إذا نزع منك الحياء فافعل ما شئت فإن الله يجازيك عليه ، وفيه إشارة إلى تعظيم أمر الحياء وقيل هو أمر بمعنى الخبر أي من لا يستحي يصنع ما أراد .

وليس الأمر (أصنع) هنا فتحاً لباب التخلل والمجون ، وإنما هو أمر بلاغي يفيد أن فاقد الحياء جدير بكل رذيله كما أنه جدير بكل هوان ، ولنا في رسول الله (ﷺ) أسوة حسنه في التمسك بخلق الحياء الذي لا يأتي إلا بكل خير .

ولا شك أن الحياء غريزة ومن أوتى الحياء فقد أوتى حظاً عظيماً ، لأنه يمنع من الفواحش ويحمل على البر والخير ، كما يمنع الإيمان صاحبه من الفجور ويبعده عن المعاصي ، ويحمله على الطاعات فصار الحياء كالإيمان لمساواته له في ذلك وإن كان الحياء غريزة والإيمان فعل المؤمن ولهذا اعتبر النبي (ﷺ)الحياء من الإيمان أي من أسبابه وأخلاق أهله.

(٣) شرح النووي ٦/٥/١ ، فتح الباري ٥٣٩/١٠ /٥٤٠ ، ، الأربعين النوويه /٦٣ ، عمدة القارئ ٢١٠/١٨ بتصرف

الحياء يكون في الإنسان من ثلاثة أوجه :

١- حياؤه من الله تعالى

٢- حياؤه من الناس .

٣- حياؤه من نفسه . [١]

أولاً: حياؤه من الله تعالى :

يكون بامتثال أوامره واجتناب نواهيه عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : (قال رسول الله (ﷺ) ذاتَ يومٍ : (استحيوا منْ اللهِ عزَّ وجلَّ حقَّ الحياء) قال قلنا : يا رسول الله إنا نستحي والحمد للهِ قال: (ليس ذلك ، ولكن من استحى من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما حَوىَ ، وليحفظ البطن وما وَعَىَ وَلْيذْكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرةَ تَرك زينةَ الدنيا ، فمن فعل ذلك فقد استحيا منْ اللهِ عزَّ وجلَّ حقَّ الحياء)[٢] .[٣]

---

[١] آداب الدنيا والدين للماوردي ٣٠٠ .

[٢] أخرجه الترمذي في سننه كتاب صفه القيامة باب ٤/ ٢٤٦٦/٢٠٧ قال أبوعيسى حديث غريب ، وأحمد في مسنده ٣٦٧١/٥٣٨/٣ .

(٣) قوله (ﷺ) (استحيوا من الله حق الحياء) أي حياء ثابتاً لازماً صادقاً قاله المناوي ، وقيل أي اتقوا الله حق تقاته (قلنا يا نبي الله إنا لنستحي) لم يقولوا حق الحياء اعترافاً بالعجز عنه (قال ليس ذاك) أي ليس حق الحياء ما تحسبونه بل أن تحفظ جوارحه عما لا يرضى (ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس) أي عن استعماله في غير طاعة الله بأن لا تسجد لغيره ولا تصلي للرياء ولا تخضع به لغير الله ولا ترفعه تكبراً (وما وعى) أي جمعه الرأس من اللسان والعين والأذن عما لا تحل استعماله (وتحفظ البطن) أي عن الحرام (وما حوى) أي ما اتصل اجتماعه به من الفرج والرجلين واليدين والقلب فإن هذه الأعضاء متصلة بالجوف وحفظها بأن لا تستعملها في المعاصي بل في مرضاه الله تعالى ، تحفة الاحوذي ١٧٢/٧ .

ثانياً: حياؤه من نفسه :

فيكون بحمل نفسه كارهة أو راضية على فعل الخيرات وترك المنكرات أيا كان نوعها قياماً بحقوق الله تعالى وحقوق الناس ، وأن يزكيها ويرتفع بها عما يدنسها من مذمومات الأقوال والأفعال والأعمال .

ولا شك أن استكمال الإنسان لحيائه يفرض عليه كثيرا من المعاناة ، وسياسته نفسه وترويضها ليخلق منها نفساً مطيعة إلى رشدها منتهية عن غيها حتى يلين قيادها ويهون عتادها .

ثالثاً: حياؤه من الناس :

فيكون بكف الأذى وترك المجاهرة بالقبيح ، ولعل الحياء من الناس يستدعي الكثير من المعاناة والتجربة والصبر ، فعل الإنسان أن يبتعد عن كل ما يخدش كرامة الناس ويؤدي إلى الوقوع في أعراضهم فلا يؤذيهم .

ولا يتبع عوراتهم ولا يتجسس أو يتحسس عليهم لأن من تتبع أخيه يتتبع الله عورته، ومن يتتبع الله عورته يفضحه ، كما على الإنسان ألاّ يسخر من غيره ولا يستهزئ به ، ولا يذكره في غيبته ولا ينال منه بطريقة أو بأخرى ؛ لأن حرمة النفس الإنسانية واحدة يستوي في ذلك العالم والجاهل والغني والفقير والملك و السوقة والأبيض والأسود وبالجملة كل فاضل ومفضولة في موازين الأرض عند الناس .

وجماع الحياء من الناس أن يترك الإنسان في تعامله مع غيره كل ما يؤذيهم ويثير العداوة و البغضاء بينهم ، ويؤدي إليهم ما أوجبه الله لهم من حقوق وما يفرضه الاجتماع البشري للناس قبل بعضهم البعض الآخر [١] .

علامات الحياء التي تظهر في تصرفات الإنسان وسلوكه :

١- مجانبة الكبر :

الكبر تعاظم ينشأ عن رؤية الإنسان نفسه فوق غيره ، والكبر يكون بالمنزلة وهو يكسب الإنسان المُقت ويُلهي عن التألف ويوغر صدور الإخوان ، وهو أول معصية عصى بها إبليس ربه عندما أمره بالسجود هو التعظيم وتكريم الإنسان قال تعالى " وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا " [٢] .

فإذا رأيت إنساناً يتعالى على غيره ، ويطلب السيادة لنفسه على من دونه من بني نوعه ، فاعلم أنه قد خلع ربقة الحياء من عنقه فلا يرجى خيره ، ولا يؤمن شره ، وإذا رأيت أخر رغم علو قدره وارتفاع منزلته يخفض جناحه للمؤمنين فاعلم أنه رفيع القدر على تواضعه وعلى الناس أن يجلّوه ويحترموه .

ولا يعتقد أن الكبر لا يكون إلا في صاحب جاه أو سلطان أو مال، بل قد يكون الكبر فيمن لا يملك عيش ليلة ، وفيمن يلبس الثوب المرقع وقد يكون

---

[١] الأخلاق وقواعد السلوك ٧٢ ، أداب الدنيا والدين ٣٠١.
[٢] سورة الكهف آية ٥٠

والتواضع في سربال الجاه والسلطان وكل ميسر لما خُلق له ولله في خلقه شئون . [١]

٢- مجانبة العجب :

يحصل في الباطن من تخيل كمال في علم وعمل ، ويفسر أيضا بأنه استعظام النعمة والركون إليها مع نسيان إضافتها إلى الله تبارك وتعالى ، فإذا قطع الإنسان أسباب الكبر وحسم مواد العجب اعتاض بالكبر تواضعا وبالعجب تودا ، وذلك من أوكد أسباب الكرامة وأقوى مواد النعم ، وأبلغ شافع إلى القلوب ، ويعطفها إلى المحبة ويثنيها عن البغض[٢].

٣- التزم الصدق والبعد عن الكذب :

ومن أوكد الدلائل على الحياء : التزام الصدق في الأقوال والأفعال . لأن الكذب جماع كل شر وأصل كل ذم ، ومن قلّ صدقه قلّ صديقه.[٣]

٤- العفة :

هي أمارة من أمارات الحياء وسمة بارزة من سماته ،وهي ترجمان صادق يعبر عن مستودعات الضمائر ويخبر بمكتوبات السرائر ، والإنسان العفيف أوثق بما في يده مما في يد الناس ، وقد يظن البعض أن العفة لا تكون إلا في المأكل والمشرب .

---

[١] الأخلاق وقواعد السلوك ٧٣/٧٤ .
[٢] الأخلاق وقواعد السلوك ٧٤/٧٥ .
[٣] الأخلاق وقواعد السلوك ٧٥ .

فالإنسان العفيف هو الإنسان الذي لا يتطلع إلى ما ليس له حق فيه من ماديات الحياة أو معنوياتها فحياته كلها خير إن أعطاه الله شكر وإن لم يعطه صبر .

هذه الصور الأربع كعينات إذا ظهرت في سلوك الفرد وهي مجانبة الكبر والإعجاب والبعد عن الكذب كل هذه الفضائل تدل على حياء من يتحلى بها .

ومتى كُمل حياء الإنسان من وجوهه الثلاثة فقد كُملت فيه أسباب الخير وانتفت عنه أسباب الشر . [١]

ثانيا : التواضع [٢]

التواضع من أشرف الخصال الحميدة ، وهو أن يرى الإنسان في نفسه من حسن خلقه ، وجميل عشرته للناس أنه في ضعة عن مرتبة غيره ، والواقع أنه ليس كذلك ، بل لما في نفسه العالية من خلق جميل وسريرة طيبة ، والتواضع ضد الكبر والخيلاء .

والجدير بالذكر أن المتواضع ينظر إليه الناس ، بعين الاحترام والتقدير ، يحسده حاسده على نعمة التواضع رغم تقديره له ، ويغبطه محبه فيزيد بذلك رفعة وهيبة .

---

[١] الأخلاق وقواعد السلوك في الإسلام عبدالعظيم منصور ٧٩/٧٦ .
[٢] التواضع : هو التذلل وتواضع الرجل ذل ، لسان العرب ٢٣١/١٥ ، مادة وضع .

عن أبي هريرة رضـــــي الله عنه عن رسـول الله (ﷺ) قـال : (مـا نَقصتْ [١]صَدقةٌ من مالٍ ، وما زَادَ الله عبداً بعفوٍ[٢] إلا عِزّاً[٣] ، وما تواضعَ[٤] أحدٌ لله إلا رفعهُ الله[٥]):[٦]

والتواضع نعمة كبرى من نعم الباري عز وجل على عباده فالمتواضـع يكون ضميره دائماً ، كالماء الزلال صافيا نقياً يكثر محبوه ويقـل مبغضـوه ، وترتاح نفسه ويصفو عيشه .

---

(١) قوله (ﷺ) (ما نقصت صدقة من مال) ذكروا فيه وجهين : أحدهما : معناه أنه يبارك فيه ويدفع عنه المضرات فينجبر نقص الصورة بالبركة الخفية وهذا مُدرك بالحس والعادة والثاني : أنه وإن نقصت صورته كان في الثواب المرتب عليه جبر لنقصه وزيادة إلى أضعاف كثيرة . ، شرح النووي ١٢١/٨ .

(٢) قوله (ﷺ) (ما زاد الله عبداً بعفو) أي بسبب عفوه عن شئ مع قدرته على الانتقام إلا عزاً في الدنيا ، فإن من عُرف بالعفو عَظم في القلوب أو في الآخرة بأن يعظم ثوابه فيهما ، تحفة الأحوذي ١٤١/٦ .

(٣) قوله (ﷺ) (إلا عزاً) فيه وجهان أحدهما : على ظاهره ومن عُرف بالعفو والصفح ساد وعظم في القلوب ، وزاد عزه وإكرامه .
والثاني : أن المراد أجره في الآخرة وعزه هناك، شرح النووي ١٢١/٨ ، تحفة الأحوذي ١٤١/٦ .

(٤) وقوله (ﷺ) (وما تواضع أحد لله) بأن أنزل نفسه عن مرتبة يستحقها لرجاء التقرب إلى الله دون غرض غيره ، تحفة الأحوذي ١٤١/٦ .

(٥) قوله (ﷺ)(إلا رفعه الله) فيه وجهان : أحدهما : يرفعه في الدنيا ويثبت له بتواضعه في القلوب منزلة ، ويرفعه الله عند الناس ويجلّ مكانة . والثاني : أن المراد ثوابه في الآخرة هو رفعه فيها بتواضعه في الدنيا . قال العلماء : وهذه الأوجه في الألفاظ الثلاثة موجودة في العادة ، وقد يكون المراد الوجهين معاً ، في جميعها في الدنيا والآخرة ، شرح النووي ١٢١/٨ .

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة ، باب استحباب العفو والتواضع ٦٩/٣٠٦/٤ ، والترمذي في سننه كتاب البر والصلة باب ما جاء في التواضع ٢٠٣٦/٤١٥/٣ قال أبوعيسى حديث حسن صحيح .

فالمتواضع لابد أن يكون لين الجانب حسن السيرة طيب السريرة ممدوحا من جميع الناس مثاباً عند الله مشكوراً عنده عباده وإذا أحب الله شخصاً حبب الناس إليه .

قال تعالى : (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ)[١].[٢]

وفي الآية ترغيب للمؤمنين في العفو عن المسيء وحثهم على الاستغفار لمن يذنب منهم ، وعلى مشاورة بعضهم بعضاً ، وفيما يعرض لهم من الأمور ، ونهيهم عن الفظاظة في القول والغلظة والجفاء في الفعل ، وقد دعاهم الله تعالى إلى التوكل عليه ، وتفويض الأمر إليه ، ومنها أيضاً دلالة على قوله في اللطف لأنه سبحانه نبه على أنه لولا رحمته لم يقع اللين والتواضع ، فبين أن الأمور المنفّرة منفية عنه وعن سائر الأنبياء ومن يجري مجراهم في أنه حجة على الخلق وهذا يوجب تنزيههم أيضا عن الكبائر .

عن عياض بن حمار رضي الله عنه قال : (قام فينَا رسولُ الله (ﷺ) ذاتَ يوم خَطيباً فقالَ : (إنَّ الله أمرني) ..... وإنَّ الله أوحَى إليَّ أنْ تواضعُوا حتى لا يفخرَ[٣] أَحدٍ على أحد ، ولا يَبغي[٤] أحدُ على أحدٍ) [٥].[١]

---

[١] سورة آل عمران آية ١٥٩ .

(٢) في هذه الآية دلالة على تخصيص نبينا (ﷺ) بمكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال ومن عجب أمره (ﷺ) أنه كان أجمع الناس لدواعي الترفع ، ثم كان أدناهم إلى التواضع ، وذلك أنه كان أوسط الناس نسباً وأوفرهم حسباً وأسخاهم وأشجعهم وأذكاهم وأفصحهم وهذه كلها من دواعي الترفع ، مجمع البيان تفسير القرآن ٣٣٠/٣٢٩/٢ .

(٣) يفخر : الفخر ادعاء العظم والكبر والشرف ، النهاية ٤١٨/٣ .

(٤) البغي : أصل البغي مجاوزة الحد ، النهاية ١٤٣/١ .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجنة باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا ، أهل الجنة الجنة ٦٤/٥٠٥/٤ جزء من حديث ، وأبوداود في سننه كتاب الأدب باب التواضع

المتكبر من أهل النار ويدل على ذلك ما يُروي عن حارثة بن وهب الخزاعي رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: (ألا أَخبرُكُم بأهلِ الجنَّةِ كلُّ ضعيفٍ مُتضاعفٍ لو أقْسمَ على اللهِ لأبرَّهُ ألا أُخبِركُم بأهلِ النارِ ؟ كلُّ عُتلٍّ [٢] جوَّاظٍ [٣] مُستكبرٍ)[٤]. [٥]

سُئل الحسن عن التواضع فقال : (هو أن تخرج من بيتك فلا تلقي أحد إلا رأيت له الفضل عليك) .

قال رجل لبكر بن عبدالله : (علمني التواضع فقال : إذا رأيت من هو بين بكر بن عبدالله أكبر منك فقال : سبقني إلى الإسلام والعمل الصالح فهو

٤٨٩٥/٢٧٥/٤ ، وابن ماجه في سننه كتاب الزهد باب البراءة من الكبر والتواضع ٤١٧٩/١٣٩٩/٢

(١) قوله (ﷺ) (أن تواضعوا) أن هذه مفسرة لما في الإيحاء من معنى القول (وتواضعوا) أمر من الضعة والذل والهوان والدناه قيل :التواضع الاستسلام للحق وترك الإعراض عن الحكم من الحاكم ،وقيل هو خفض الجناح للخلق ولين الجانب ، وقيل قبول الحق ممن كان كبيراً أو صغيراً شريفاً أو وضيعاً .

(حتى لا يبغى) بكسر العين أي لا يظلم (ولا يفخر) بفتح الخاء والفخر ادعاء العظمة والكبرياء والشرف ، عون المعبود ٢٣٨/١٣ .

(٢) عتل : العتلة لما فيها من الغلظة والشدة وهي عمود حديد يُهدم به الحيطان ، النهاية ١٨٠/٣ .

(٣) جواظ : الجُموع المنُوع وقيل الكثيرُ اللحم المختال ف مشيته وقيل القصير البطين ، النهاية ٣١٦/١

(٤) الكبر والتكبر والاستكبار متقارب فالكبر الحالة التي يختص بها الإنسان من إعجابه نفسه ، وذلك أن يرى نفسه أكبر من غيره ، وأعظم ذلك أن يتكبر على ربه بأن يمتنع من قبول الحق والإذعان له بالتوحيد والطاعة ، والتكبر يأتي على وجهين : أحدهما : أن تكون الأفعال الحسنة زائدة على محاسن الغير ومن ثم وصف سبحانه وتعالى بالمتكبر ، والثاني : أن يكون متكلفاً لذلك متشبعاً بما ليس فيه ، وهو وصف عامة الناس نحو قوله تعالى (كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ) سورة غافر آية ٣٥ . والمستكبر مثله وقال الغزالي : الكبر على قسمين : فإن ظهر على الجوارح يُقال تكبر وإلا قيل : في نفسه كبر والأصل هو الذي في النفس وهو الاسترواح إلى رؤية النفس، والكبر يستدعي متكبر عليه يرى نفسه فوقه ومتكبراً به ينفصل الكبر عن العجب فمن لم يخلق إلا وحده يتصور أن يكون مُعجباً لا متكبراً ، فتح الباري ٥٠٥/١٠

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب باب ا لكبر ٦٠٧١/٦٣/٤ .

خير منيّ ، وإذا رأيت من هو أصغر منك فقل سبقتُه إلى الذنوب والعمل السيئ فأنا شر منه) [١] .

مما روى عن علي بن الحسين عليهما السلام قال : (تزوج عليّ بن الحسين أم ولد لبعض الأنصار فلامه عبدالملك في ذلك ، فكتب إليه : إن الله قد رفع بالإسلام الخسيسة وأتم النقيصة ، وأكرم به من اللؤم فلا عار على مسلم ، هذا رسول الله (ﷺ) فقد تزوج أمته وامرأة عبده فقال عبدالملك : إن علي بن الحسين يتشرف من حيث يتضع الناس) [٢].

قال تعالى : أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ " [٣]

قال تعالى : " وبَشِّرِ المُخبتين " [٤]

قال تعالى : " وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ " [٥]

قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ " [٦]

قال جعفر بن محمد : رأسُ الخير التواضع ، فقيل له وما التواضع ؟ فقال : أن ترضي من المجلس بدون شرفك ، وأن تسلم على من لقيت وأن تترك المراء [٧]وإن كنت محقاً)[٨].

قيل : ثمرة التواضع المحبة ، وثمرة القناعة الراحة .

---

(١) العقد الفريد ٣٥٩/٢ .
(٢) عيون الأخبار للدينوري ١٠/٤
(٣) سورة المائدة آية ٥٤ .
(٤) سورة الحج آية ٣٤ .
(٥) سورة الحجر آية ٨٨ ،
(٦) سورة الحجرات آية ٢١ .
٧ المراء : الجدال والتماري والممارة المجادلة الممارة والجدل والمراء من الامتراء والشك ، لسان العرب ٦٣/١٤ مادة مرا .
(٨) نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري ٢٣٠/٣ .

قيل : التواضع نعمة لا يفطن لها الحاسد .

التواضع والمجتمع :

إن التواضع شيمة نفسية ونعمة إلهية ونفحة طيبة فطوبى لمن تحلى بالتواضع مع رفعة قدره ، وسمو ذاته .

والجدير بكل من تحلى بهذه الصفة الحسنة أن يكون في الرعّيل الأول من عالمنا المتحضر، ويكون المتقدم على من سواه ، إن كل شخص إذا أراد أن يمشي طبق التعاليم الدينية من مكارم الأخلاق كالتواضع مثلا ، ويطبقها في مجالسه في ذهابه وإيابه من أصدقائه وأحبائه ، فلا يُبالي تكلفة التصنع في حديثه أو يجلس حيثما استقر به المقام نرى الهمز واللمز كما قلنا ينهال عليه من كل جانب ومكان ، ينظر له الكثيرون نظرة الاستخفاف والازدراء ويصمونه بوصمات الجبن والعجز وضعف الإرادة وسوء التصرف .

<u>تحريم الكبر :</u>

إن الله سبحانه وتعالى حرم الكبر على العباد ، فلا ينبغي أن يتكبر أحد على أحد لأي سبب من الأسباب ، لا يوجد فرق بين عربي و لا أعجمي إلا بالتقوى ، فالكبر من صفات المولى عز وجل .

عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا : (قال رسولُ الله (ﷺ) العزُّ [١] إزارهُ ، و الكبرياءُ رداؤهُ فمن يُنازعُني [٢] عذبتهُ)[٣] .[٤]

فالكبر يحرم المرء من دخول الجنة دليل ذلك ما رويَ عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال : (لا يدخلُ الجَّنةَ من كانَ في قلبه مثقالُ ذرةٍ[٥] من كبرٍ)[٦]

---

(١) العز : عَزّ يعزُّ بالكسر إذا صار عزيزاً ، وعزَّ يعزّ بالفتح إذا اشتدَّ ، في أسماء الله تعالى (العزيز) هو الغالبُ القويُّ الذي لا يُغلب ، النهاية ٢٢٨/٣ .

(٢) ينازعني : المنازعةُ المجاذبة في المعاني والأعيان ، النهاية ٤١/٥

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة باب تحريم الكبر ١٣٦/٣٢٧/٤ ، وأبوداود في سننه كتاب اللباس باب ما جاء في إسبال الإزار ٤٠٩٠/٥٨/٤

(٤) قوله (ﷺ) (العز إزاره والكبرياء رداؤه) فالضمير في إزاره ورداؤه يعود إلى الله تعالى للعلم به ، وفيه محذوف تقديره قال الله تعالى : ومن ينازعني ذلك أعذبه ، ومعنى ينازعني يتخلق بذلك فيصير في معنى المشارك وهو وعيد شديد في الكبر مصرح بتحريمه ، وأما تسميته إزارا ورداء فمجاز واستعارة حسنة كما يقول العرب فلان شعاره الزهد ودثاره التقوى ، لا يريدون الثوب الذي هو شعار أو دثار بل معناه صفته ، ومعنى الاستعارة هنا أن الإزار والرداء يلصقان بالإنسان ويلزمانه وهما مجال له ، قال : فضرب ذلك مثلا لكون العز والكبرياء بالله تعالى أحق وله الزم واقتضاهما جلاله ، شرح النووي ١٤٩/١٤٨/٨ .

(٥) ذكر مثقال الذرة هنا من الإيمان وهو لا يتجزأ إذا أريد به حقيقته من المعرفة ، وتصديق القلب ، ومعناه هنا - إن شاء الله – التمثيل بأقل دراجات الإيمان وهو مجرد التصديق بأقل مثاقيل الوزن ، أو يكون الإشارة بالتجزئ إلى ما زاد على ذلك من أذكار القلب وإيمانه بما زاد على التوحيد ومفهوم الشهادتين وغير ذلك قوله (ﷺ) (قال رجل) فهذا الرجل هو مالك بن مراره الرهاوي ، اكمال المعلم ٢٥٧/٢٥٦/١ .

(٦) قوله (ﷺ) (لا يدخل الجنة من في قلبه مثال ذرة من كبر) فقد اختلف في تأويله : قال الخطابي : فيه وجهين : أحدهما أن المراد التكبر عن الإيمان ، فصاحبه لا يدخل الجنة أصلا إذا مات عليه ، والثاني : أنه لا يكون في قلبه كبر حال دخوله الجنة كما قال تعالى : (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ) سورة الاعراف آية ٤٧ ، وهذان التأويلان فيهما بُعد ، فإن هذا الحديث ورد في سياق النهي عن الكبر والمعروف وهو الارتفاع على الناس واحتقارهم ودفع الحق ، فلا ينبغي أن يحمل على هذين التأويلين المخرجين له عن المطلوب ، بل الظاهر ما اختاره القاضي عياض وغيره وقيل هذا جزاءه لو جازاه ، وقد يتكرم بأنه لا يجازيه ، بل لابد أن يدخل كل الموجودين الجنة ، إما أولاً وإما ثانياً بعد

قال رجلُ [١]: إنَّ الرجلَ يُحبُّ أن يكونَ ثوبُهُ حسناً ونعلُهُ حسنةً ، قال : (إنَّ الله جميلُ يُحبُّ الجمالَ[٢]، الكبرُ بطرُ[٣] الحقَّ وغمطُ الناسِ [٤]) [٥] .

ويبين لنا النبي (ﷺ) أن الجنة حُرمت على من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ، وذلك لأن الكبر يؤدي إلى إنكار الحق ودفعه ترفعا وتجبراً ، ويؤدي أيضاً إلى ازدراء الناس واحتقارهم.

تعذيب بعض أصحاب الكبائر الذين ماتوا مصرين عليها ، وقيل لا يدخلها مع المتقين أول وهله ، شرح النووي ، ٧٧/٧٦/١ .

[١] فهذا الرجل هو مالك بن مرارة الرهاوي ، شرح النووي ٧٧/١

(٢) قوله (ﷺ) (إن الله جميل يحب الجمال) اختلفوا في معناه فقيل : معناه أن كل أمره سبحانه وتعالى حسن جميل ، وله الأسماء الحسنى وصفات الجمال والكمال ، وحكى أبوسليمان الخطابي : أنه بمعنى ذي النور والبهجة أي مالكهما ، وقيل معناه : جميل الأفعال بكم باللطف والنظر إليكم يكلفكم اليسير من العمل ويعين عليه ، ويثيب عليه الجزيل ويشكر عليه ، واعلم أن هذا الاسم ورد في هذا الحديث الصحيح ولكنه من أخبار الأحاد ، والمختار جواز إطلاقه على الله تعالى ، ومن العلماء من أطلق في هذا الحديث تسميه الباري تعالى جميلا ، ويحتمل أن يكون سماه بذلك لانتفاء النقص عنه ، لأن الجميل منا من حيث صورته ومضمون حسن الصورة انتفاء النقائض والشين عنها ، ويحتمل أن يكون جميل هاهنا بمعنى مجمل أي محسن ، كما أن كريما بمعنى مكرم ، وأما الحديث الذي فيه إن ترك الصلاة كفر ومذهب من تعلق به .
واختلف أهل العلم والنظر من أهل السنة في تسمية الله تعالى ووصفه بأوصاف الكمال والجلال والمدح بما لم يرد به شرع ولا منعه ، فأجازه بعضهم ومنع أخرون ، إلا أن يرد به شرع من نص كتاب أو سنة متواترة ، أو أجمعت على إطلاقه الأمة ، ثم اختلفوا إذا ورد به شرع غير مقطوع به بخبر الأحاد فأجازه بعضهم ، ورآى أن الدعاء به والثناء والذكر به من باب العمل الذي يستند إلى خبر الواحد ، ومنعه آخرون لأنه راجع إلى اعتقاد ما يجب ويجوز ويستحيل على الله ، وباب هذا القطع ، والصواب جوازه لاشتماله على العمل و لقوله تعالى : (وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى)سورة الأعراف آية ١٨ .
قوله (ﷺ) (بطر الحق) فهو دفعه وإنكاره تدفعاً وتجبراً ، شرح النووي ٧٥/١ ، اكمال المعلم ٢٥٩/٢٥٧/١.

[٣] بطر الحق : هو أن يجعل ما جعله الله حقاً من توحيده وعبادته باطلاً ، وقيل أن يتجبر عند الحق فلا يراه حقاً ، وقيل هو أن يتكبر عن الحق فلا يقبله ، النهاية ١٣٥/١ .

[٤] غمط الناس : الغمط : الاستهانة والاستحقار ، وهو مثل الغمص ، النهاية ٣٨٧/٣ .

[٥] أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الايمان باب تحريم الكبر وبيانه ١٤٧/١٠٠/١ ، والترمذي في سننه كتاب البر والصلة باب ما جاء في الكبر ٢٠٠٦/٤٠٢/٣ ، وأبوداود في سننه كتاب اللباس باب ما جاء في إسبال الإزار ٤٠٩١/٥٨/٤ .

ثالثاً : الحلم [١]

الحلم : هو ضبط النفس عند هيجان الغضب فالحلم : عبارة عن كظم الغيظ وكسر شوكة الغضب من غير ذل أو هوان . وقد يحتاج صاحب الحلم إلى تعب ومجاهدة حتى يستطيع اعتياد الحلم عند ذلك أمراً اعتيادياً ، فلا يصبح غيظه بسرعة ، وإن هاج فلا يكون يكظم وبعد ترويض النفس يكون الحليم إنساناً وقوراً وشخصاً كريماً ، لأن الحلم هو دلالة على كمال العقل ، وزيادة الإدراك فيتمكن من الاستيلاء على آفات الجهل وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل ، والحلم من المزايا الفاضلة بمحو أثرها ولا يمكن أن ينكر فضلها أحد من ذوي الألباب .

والحلم يرفع صاحبه إلى أسمى الدرجات وهو من صفات الأنبياء والمرسلين والأئمة الأطهار وغيرهم من الرجال العظام الذن ارتقوا أعلى مراتب المجد والسؤدد . [٢]

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : (قال رسول الله (ﷺ) ما منْ جُرعةٍ [٣] أعظمُ عندَ اللهِ من جُرعةِ غَيظٍ [٤] كظمهَا [٥] عبد ابتغاءَ وجهِ اللهِ) [٦] .[١]

---

[١] الحلم : الحليم في صفة الله عز وجل وهو الصبور ، الذي لا يستخفه العصاه الوصاه ولا يستفزه الغضب عليهم لكنه جعل لكل شئ قدرا لسان العرب ٢١٠/٤ .
[٢] الأخلاق الإسلامية على فصل ١٥٦ .
[٣] جرعة : اسم من جرع الماء تسمع بلعة ، النهاية ١٤٠١/٢ .
[٤] غيظ : الغيظ صفه تغير في المخلوق عند احتداده يتحرك لها ، النهاية ٣/ ٤٠٢
(٥) كظمها : من كظم الغيظ تجرعة واحتمال سببه والصبر عليه ، النهاية ١٧٨/٤ .
(٦) أخرجه ابن ماجه في سننه كتاب الزهد باب الحلم ٤١٨٩/١٤٠١/٢ ، في الزوايد إسناده صحيح ورجاله ثقات ، وأحمد في مسندة ٣٠١٧ /٣١٦/٣

عن أنس الجُهني رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال : (من كظمَ غَيظاً وهو يستطيع أنْ يُنفذُه [٢] دعاهُ الله يوم القيامة علـى رؤُوس الخلائـق حتـى يُخيرّهُ في أي الحورِ شاء) [٣] .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال : (لَيسَ الشَّـديدُ بالصُّرعةِ [٤] إِنَّما الشَّديدُ الذي يملكُ نفسهُ عندَ الغضبِ)[٥] . [٦]

---

(١) وإنما حُمد الكظم لأنه قهر للنفس الأمارة بالسوء ، ولذلك مدحه الله تعالى بقوله : (وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) سورة آل عمران آية ١٣٤ ومن نهى النفس عن الهوى فإن الجنة مأواه والحور العين جزاءه ، وهذا الثناء الجميل والجزاء الجزيل إذا ترتب على مجرد الغيظ فكيف إذا انضم العفو إليه أو زاد بالإحسان عليه (وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ) .
أي إذا اثار بهم الغيظ كظموه بمعنى كتموه فلم يعملوه ، وعفوا مع ذلك عمن أساءوا إليهم ، لا يعملون غضبهم في الناس بل يكفون عنهم شرهم ويحتسبون ذلك عند الله عز وجل ، تفسير ابن كثير ٤١٥/٤١٣/١ ، تحفة الاحوذي ١٣١/٦.
(٢) قوله (أن ينفذه) بتشديد الفاء أي يمضيه وقيل يجوز تخفيف الفاء والجملة حالية وجواب الشرط قوله (دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق) أي شهره بين الناس وأثنى عليه وتباهى به ويقال في حقه هذا الذي صدرت منه هذه الخصلة العظيمة (حتى يخيره) أي يجعله مخيراً(في أي الحور شاء) أي في أخذ أيهن شاء ، وهو كناية عن إدخاله الجنة المنيعة وإيصاله الدرجة الرفيعة ، تحفة الأحوذي ١٣١/٦.
(٣) أخرجه أبوداود في سننه كتاب الأدب باب من كظم غيظاً ٤٧٧٧/٢٤٨/٤ ، والترمذي في سننه كتاب البر و الصلة باب من كظم الغيظ ٢٠٢١/٣٧٢/٤ قال أبوعيسى حديث حسن غريب ،
(٤) الصرعة : بضم الصاد وفتح الراء : المبالغ في الصراع الذي لا يغلب ، فنقله إلى الذي يغلب نفسه عند الغضب ويقهرها ، فإنه إذا ملكها كان قد قهرها قوى أعدائه وشر خصومة ، النهاية ٢٤/٢٣/٣
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب باب الحذر من الغضب ٦١١٤/٧٠/٤ ، ومسلم في صحيحه كتاب البر والصلة باب فضل من يملك نفسه عند الغضب ١٠٧/٣١٩/٤ .
(٦) قال النووي : تعتقدون أن الصرعة الممدوح القوي الفاضل هو القوي الذي لا يصرعه الرجال بل يصرعهم وليس هو كذلك شرعاً بل هو من يملك نفسه عند الغضب ، فهذا هو الفاضل الممدوح الذي قل من يقدر على التخلق بخلقه ومشاركته في فضيلته ، وفي الحديث كظم الغيظ وإمساك النفس عند الغضب عن الانتصار والمخاصمة والمنازعة ، شرح النووي ١٣٩/١٣٨/٨ .

عن مزاحم بن زفر قال لنا عمر بن عبدالعزيز قال : (خمس إذا أخطأ القاضي منهن خَصلة كانت فيه وصمةُ [١] : أن يكون فَهماً[٢] حَليماً[٣] عَفيفاً[٤] صَليباً[٥] عَالماً[٦] سَؤلاً عن العلمِ)[٧].

والحليم من لم يكن حلمه لفقد النصرة أو لعدم القدرة ،وهو جوهر في الإنسان يصدر عن صدر سالم من الغوائل والأذى ، صاف من شوائب الكدر والقذى لا يستطيع تعلماً ولا يدرك تبصراً وتفهماً .

ولما كان الحلم من الصفات العظيمة فقد ذكره الباري سبحانه وتعالى في قوله (قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ) [٨] .

قال تعالى : " وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ " [٩] .

---

(١) وصمة : أي عيباً ، الوصم العيب وجمعه وصوم والوصمة العيب في الكلام ، لسان العرب ٢٢٦/١٥ ، مادة وصم

(٢) قوله (فهماً) بفتح الفاء وكسر الهاء وهو من صيغ المبالغة ويجوز تسكين الهاء ووقع في رواته المستملي ففقيها والأول أولى لأن خصلة الفقه داخلة في خصلة العلم وهي مذكورة بعد قوله (حليماً) ، فتح الباري ١٥٩/١٣ .

(٣) قوله حليماً : الحليم هو الذي لا يستخفه شئ من عصيان العباد ، النهاية ٤٣٣/١٠ . .

(٤) قوله (عفيفاً) : من العفاف والتعفف وهو الكف عن الحرام والسؤال من الناس ، النهاية ٢٦٤/٣ .

(٥) قوله (صليباً) بصاد مهملة وباء موحده من الصلابه في اليبس ، النهاية ٤٥/٣ . .

(٦) قوله (عالماً سؤلا عن العلم) هي خصلة واحدة أي يكون مع ما يستحضره من العلم مذاكر له غيره لاحتمال أن يظهر له ما هو أقوى مما عنده ، فتح الباري ١٦٠/١٣ .

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأحكام باب من متى يستوجب الرجل القضاء ٢٣٩/٤ معلقا .

[٨] سورة البقرة آية ٢٦٣ .

[٩] سورة الحج آية ٦٠/٥٩ .

وقال جلا وعلا : (إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ) [١] ، (فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ) حَلِيمٍ) [٢] ، (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ) [٣]

عن ابن عباس رضي الله عنهما (أن النبي (ﷺ) قال للأشبحَّ بن عبدِالقيسِ (إنَّ فيكَ لخصلتينِ يُحبهما الله : الحِلمُ والحياء) [٤] . [٥]

روى عن عياض المجاشعي رضي الله عنه قال : (..... وأهلُ الجنَّةِ ثلاثةُ : ذو سلطانٍ مُقسطُ متصدقُ موُفّقُ ، ورجلُ رحيمُ رقيق القلبِ لكلَّ ذي قُربى ، ومُسلمٍ عَفيفُ مُتعففُ ذو عيالٍ ....)[٦].

في هذا الحديث كان الرجل الرحيم رقيق القلب من أهل الجنة فدل ذلك على أهمية التحلي بالحلم .

---

[١] سورة هود آية ٧٥ .
[٢] سورة الصافات آية ١٠١ .
[٣] سورة التوبة آية ٢١٤ .
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب الأمر بالإيمان بالله ٢٦/٥٧/١ ، وابن ماجه في سننه كتاب الزهد باب الحلم ٤١٨٨/١٤٠١/٢ ، وأحمد في مسنده ١٧٧٥٥/٥١٢/١٣ .
(٥)الحلم يدل على صحة العقل وجودة النظر للعواقب، شرح النووي ١٦٤/١ .
[٦] أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجنة باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا ٦٣/٥٠٤/٤ ، جزء حديث .

رابعاً: العفو والإحسان عند المقدرة

الإحسان والعفو عند المقدرة من الأخلاق الإسلامية الرفيعة ، حيث إن الإسلام لم يترك مزية حسنة يمكن أن يتصف بها الإنسان إلا أتى بها ، فإن الإحسان يستعبد الإنسان وليس هو بعبد ، والعفو عند المقدرة أعظم منه يمن بها صاحب القدرة على المعفو عنه ، فصنع الجميل والخلق الطيب والتخلق بالأخلاق الفاضلة ، كل هذه الأمور وما شاكلها يجعل من الإنسان إنساناً كاملاً حاز رضا الله سبحانه وتعالى وشكر عباده ومحبتهم .

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : (لقيت رسول الله (ﷺ) فقال لي : (ياعقبة ابن عامر صِل مَنْ قطعكَ ، وأعطِ مَنْ حرمك ، وَاعفِ [١] عمَّن ظَلمكَ) [٢] .

في الحديث الشريف يأمرنا النبي (ﷺ) بصلة الرحم وعدم قطيعتها وليس الواصل بالمكافئ ، إنما الواصل الذي يصل من قطعه ، وكذلك الأمر بأن نعطي من منعنا ونكون أكرم منه ، ويأمرنا (ﷺ) بالعفو عند المقدرة عمن ظلم وأساء . والآيات في الحث على العفو كثيره في القرآن الكريم .

قال تعالى : " وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ " [٣] ، وقوله جل شأنه " فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا " [٤] وقوله سبحانه وتعالى " الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ

---

[١] واعف عمن ظلمك : العفو هو التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه وأصله المحو والطمس ،وهو من أبنية المبالغة ، يقال :عفا يعفو عفوا فهوعافٍ وعفو ، النهاية ٢٦٥/٣ .

[٢] أخرجه أحمد في مسنده ١٧٣٨٣/٣٧٦/١٣ إسناده صحيح (جزء حديث) .

[٣] سورة البقرة آية ١٩٤

[٤] سورة الشورى آية ٤ .

وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ.. "[١] أي كف الشر يعفون عمن ظلمهم في أنفسهم فلا تبقى في أنفسهم موجدة على أحد[٢] وقوله جل وعلا " وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ " [٣]

ولنا في رسول الله (ﷺ) أسوة حسنة حيث كان (ﷺ) يعفو عمن ظلمه ولا ينتقم لنفسه أبداً بل يعفو ويصفح .

عن عائشةَ رضي الله عنها أنها قالت : (ما خُيِّر رسولُ الله (ﷺ) بينَ أمرينِ إلا اختار أيسرهُما ما لم يكنْ إثماً ، فإن كانَ إثماً كان أبعدَ الناسِ منهُ . وما انتقمَ رسولُ الله (ﷺ) لنفسهِ إلا أنْ تُنتهكَ[٤] حرمةُ الله عزَّ وجلَّ). [٥]

فإن حرمات الله تنتهك بارتكاب ما حرم المولى عز وجل .

الإحسان والعفو عند المقدرة هما أمران عظيمان ، إذ أن الصفح والعفو سهل يسير خصوصاً بعد أن يصبح المناوئ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ، وهو يرى أسباب الهلاك بعينه وليس له وسيلة إلا استعطاف خصمه الظافر ، فإذا أحسن إليه وعفا عنه لا يرد ذلك بدء حياة جديدة ، ويرى من فضل خصمة أنه خاف الله أو حاسب نفسه فأنقذه بعد أن كان معرضا للهلاك ، فيكون والحالة هذه حافظاً لمن صفح عنه ، وحاملاً له لواء المدح والثناء ،

---

(١) سورة ل عمران آية

(٢) تفسير ا بن كثير ٤١٥/١ .

(٣) سورة الأعراف آية ١٩٩ .

(٤) قوله (إلا أن تنتهك) استثناء منقطع معناه لكن إذا انتهكت حرمة الله انتصر لله تعالى ، وانتقم ممن ارتكب ذلك ، ففي هذا الحديث الحث على العفو والحلم واحتمال الأذى والانتصار لدين الله تعالى ممن فعلوا محرماً أو نحوه ، وفيه أنه يستحب للأئمة والقضاة وسائر ولاة الأمور التخلق بهذا الخلق الكريم فلا ينتقم لنفسه ولا يهمل حرمة الله تعالى ، شرح النووي ٧١/٨ .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفضائل باب مباعدته (ﷺ) ٧٧/١١٨/٤

ومخلصاً له بكل معاني الإخلاص فهو مقيد بجميل صنع صاحب العفو والإحسان وهذا لا يحتاج إلى بيان أو مزيد من البرهان .[١]

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول ا لله (ﷺ) قال : (ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه)[٢]

ففي هذا الحديث الحث على العفو والصفح عند المقدرة ، وأن العفو يعز صاحبه ويرفعه ، فالعفو خلق يسموا بصاحبه عن الانتقام ، ويكبر عن المجازاة ويتعالى عن أن يلقي الشر بالشر ويجزئ السيئة بالسيئة ، إنما العفو خلق يؤثر الرحمة على العقاب ويحل المودة محل العداوة والوئام محل الخصام ، قد يُؤذي المرء في نفسه أو ماله فإذا قدر على خصمه استكبر أن ينزل إليه فيأخذه بجريمته ، وأثر أن يعفو ويرحم ووجد في هذا الإحسان من العزة والعظمة والطمأنينة ما لا يجدوه في الانتقام ولقاء الجناية بجزائها .

فليس الذي يصبر على الضيم ويخنع للقوة ويستسلم للظلم عفواً ولكن خائفاً ذليلاً .

قال تعالى : (وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ). [٣]

أي فيهم قوة الانتصار ممن ظلمهم واعتدى عليهم فليسوا بالعاجزين ولا الأذلين ، بل يقدرون على الانتقام ممن بغى عليهم وإن كانوا مع هذا إذا قدروا عفوا كما قال يوسف عليه الصلاة والسلام لإخوته (لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ

(١) الأخلاق الإسلامية د/ علي فضل ١٧٣ .
(٢) تقدم في ص ٣١.
(٣) سورة الشورى آية ٣٩ .

ﷺيَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ) [١] مع قدرته على مؤاخذتهم ومقاتلتهم على صنيعهم إليه ، وكما عفا رسول الله (ﷺ) عن أولئك النفر الثمانين الذين قصدوه عام الحديبية ونزلوا من جبل التنعيم[٢] فلما قدر عليهم منّ عليهم مع قدرته على الانتقام ، وكذلك عفوه (ﷺ) عن غورث بن الحارث الذي أراد الفتك به حين اخترط سيفه وهو نائم فاستيقظ (ﷺ) وهو في يده مصلتا فانتهره فوضعه من يده وأخذ رسول الله (ﷺ) السيف في يده ودعا أصحابه ثم أعلمهم بما كان من أمره وأمر هذا الرجل وعفا عنه ، وكذا عفا (ﷺ) عن لبيد بن الأعصم الذي سحره عليه السلام ومع هذا لم يعرض له ولا عاتبه مع قدرته عليه ، وكذلك عفوه (ﷺ) عن المرأة اليهوديه وهي زينب أخت مرحب اليهودي الخيبري الذي قتله محمود بن سلمة التي أعطته الذراع يوم خيبر [٣] فأخبره الذراع بذلك فدعاها فاعترفت فقال (ﷺ) ما حملك على ذلك قالت أردت إن كنت نبياً لم يضرك وإن لم تكن نبيا استرحنا منك فأطلقها عليه الصلاة والسلام ، ولكن لما مات منه بشر بن البراء رضي الله عنه قتلها به).[٤]

فعظماء الناس يؤيدون العفو ما لم يجدوا فيه مفسدة لأمر من أمور الدين والدنيا ، وقد عُرف بذلك كثير من ملوك المسلمين ولا سيما الخليفة المأمون العباسي .

---

[١] سورة يوسف ٦٢/٩٢ .

[٢] جبل التنعيم : موضع بمكة خارج الحرم ، هو أدنى الجبل إليها على طريق المدينة منه ، يحرم المكيون بالعمرة ، به مساجد منيه بن سرف وفكة ، مراصد الاطلاع ٢٧٧/١ .

[٣] خيبر : الموضع المشهور الذي غزاه النبي (ﷺ) على ثمانية برد من المدينة من جهة الشام كان بها سبعة حصون لليهود وحولها مزارع ونخيل والخيبر بلسان اليهود الحصن ، مراصد الاطلاع ٤٩٤/١ .

[٤] تفسير ابن كثير ١٢٨/١٢٧/٤ .

ورويت في العفو عند المقدرة أخبار تنبئ عما يملك قلب الرجل العظيم من الحل والعفو في الخطوب الجسام ، كما أثر من استعطاف المؤمنين في مقام العقاب ما يذهب بالحفيظة ويوجب المغفرة .

أمر المولى عز وجل عباده بالعفو فقال تعالى (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) [١]

قال جلا وعلا : (وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[٢]

وقد أجاز المولى عز وجل المجازاة بالعدل ولكن جعل العفو أقرب للخير فقال تعالى : (وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ) [٣]

وقد أشاد المولى جل وعلا بالعافين عن الناس ومن عظيم جزائهم في قوله تعالى (وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ) [٤]

وكانت سيرة الرسول (ﷺ) عملاً بالقرآن الكريم تأدباً بأدابه ، فانظر إلى الرسول (ﷺ) يوم فتح مكة والجزيرة العربية في سلطانه وصناديد قريش طوع أمره ، وقد لقي ما لقي من المشركين أكثر من عشرين عاماً ، وفي كل بقعة من مكة والمدينة ذكرى ما لقى من ظلم وعدوان وأذى ، وفي كل جماعة

---

[١] سورة الاعراف آية ١٩٩ .
[٢] سورة النور آية ٢٢ .
[٣] سورة البقرة أية ٢٣٧ .
[٤] سورة آل عمران آية ١٣٣ .

من قريش رجال قد قسوا عليه وعلى أصحابه ونالوا منه ومن دينه ، وصدوا عن دعوته جهد طاقتهم فما مد إليهم (ﷺ) يوم الفتح والقدرة يدا بعقاب ولا جازاهم بما فعلوا ولا بأقل مما فعلوا بل عفا عنهم عفواً عاما شاملاً ، ونال كل أعدائه أعظم نصيب من عفوه ورحمته ، قال عليه الصلاة والسلام يا معشر قريش ما تظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا خيراً أخ كريم وابن أخ كريم قال عليه الصلاة والسلام اذهبوا فأنتم الطلقاء .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) لَمَّا دَخَلَ مَكَّةَ سَرَّحَ الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ ، وَأَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ ، وَخَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ عَلَى الْخَيْلِ ، وَقَالَ : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ، اهْتِفْ بِالْأَنْصَارِ قَالَ : اسْلُكُوا هَذَا الطَّرِيقَ فَلَا يَشْرُفَنَّ[1] لَكُمْ أَحَدٌ ، إِلَّا أَنَمْتُمُوهُ فَنَادَى مُنَادٍ : لَا قُرَيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ دَخَلَ دَارًا فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ أَلْقَى السِّلَاحَ فَهُوَ آمِنٌ ، وَعَمَدَ صَنَادِيدُ قُرَيْشٍ[2] ، فَدَخَلُوا الْكَعْبَةَ فَغَصَّ[3] بِهِمْ ، وَطَافَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَصَلَّى خَلْفَ الْمَقَامِ ، ثُمَّ أَخَذَ بِجَنْبَتَيِ الْبَابِ فَخَرَجُوا فَبَايَعُوا النبي (ﷺ)على الإسلام : زاد فيه القاسم بن سلام بن مسكنن عن أبيه بهذا الاسناد قال :

ثُمَّ أَتَى الْكَعْبَةَ فَأَخَذَ بِعِضَادَتَيِ الْبَابِ ، فَقَالَ : " مَا تَقُولُونَ وَمَا تَظُنُّونَ ؟ " ، قَالُوا : نَقُولُ : ابْنُ أَخٍ ، وَابْنُ عَمٍّ حَلِيمٌ رَحِيمٌ ، قَالَ : وَقالوا ذلك ثلاث ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : " أَقُولُ كَمَا قَالَ يُوسُفُ : لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ

---

(١) فلا يشرفن : يقال استشرفوك أي خرجوا إلى لقائك ، النهاية ٤٦٢/٢ .
(٢) صناديد قريش : وهم أشرافهم وعظمائهم ورؤساؤهم ، الواحد صنديد ، وكل عظيم غالب صنديد ، النهاية ٥٥/٣ .
(٣) فغص : يُقال : غصصت بالماء أغص غصصاً فأنا غاص وغصان إذا شرقت به ، أو وقف في حلقك فلم تكد تسبغه ، النهاية ٣٧٠/٣ .

اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ "[١] ، قَالَ : فَخَرَجُوا كَأَنَّمَا نُشِرُوا مِنَ الْقُبُورِ فَدَخَلُوا فِي الإِسْلامِ .[٢]

وفر صفوان بن أمية أعدى أعدائه خوفاً من ذنبه ويأسا من العفو، فأرسل وراءه النبي (ﷺ) من يؤّمنه وأعطاه عمامته أمارة الأمان ، فلما طلب منه أن يجعل له الخيار شهرين ليدخل فيما دخل فيه الناس أو يهاجر قال أنت بالخيار أربعة أشهر .

قال محمد بن إسحاق حدثني محمد بن جعفر عن عروة بن الزبير قال : خرج صفوان بن أمية يريد جدة ليركب منها إلى اليمن ، فقال عمير بن وهب يا نبي الله إن صفوان بن أمية سيد قومه ، وقد خرج هاربا منك ، ليقذف نفسه في البحر ، فأمنه (ﷺ) قال: (هو أمن) قال : يا رسول الله فأعطني أية يعرف بها أمانك ، فأعطاه رسول الله (ﷺ) عمامته التي دخل فيها فخرج بها عمير حتى أدركه ، وهو يريد أن يركب في البحر فقال : يا صفوان فداك أبي وأمي الله الله في نفسك يهلكها فهذا أمان رسول الله (ﷺ) قد جئتك به ، قال : ويحك أغرب عني فلا تكلمني ، قال : أي صفوان ، فداك أبي وأمي أفضل الناس وأبر الناس ، وأحلم الناس ، وخير الناس ، ابن عمك ، عِزّه عِزّك ، وشرفه شرفك ، ومُلكه مُلكك ؟ قال : إني أخافه على نفسي ، قال هو أحلم من ذاك وأكرم فرجع معه ، حتى وقف به على رسول الله (ﷺ) فقال صفوان : إن هذا يزعم أنك قد أمنتني قال : صدق ، قال : فاجعلني فيه بالخيار شهرين ؟ قال : أنت بالخيار فيه أربعة أشهر [٣]

ولما اجتمعت عليه قبائل هوازن بعد الفتح وأرادت أن تؤلب عليه القبائل ويرد فتح مكه هزيمة خرج الرسول (ﷺ) لحربها ، وكانت واقعة حنين

---

[١] سورة يوسف آية ٩٢ .
[٢] أخرجه البيهقي في سننه كتاب السير باب فتح مكة حرسها الله تعالى ١٨٢٧٥/١٩٩/٩ .
[٣] سيرة ابن هشام ٣١/٤ .

التي لقي فيها المسلمون ما لقوا من الهزيمة أول الأمر ، ثم وثب الرسول (ﷺ) وانحاز إليه أصحابه حتى أنزل سكينته ونصره ، فلما ظفر بالقوم وقد عظمت جنايتهم جزاهم بالإساءة إحساناً وبالذنب عفواً [١] .

[١] الإسلام ومكارم الأخلاق ٦٤/٦٥

الخاتمة

على كل مسلم أن يتحلى بالخلق الحسن إقتداء بالنبي الكريم (ﷺ) حيث مدحه المولى غز وجل في كتابه العزيز (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)[١] .

١- الأخلاق الإسلامية تستمد مادتها بالدرجة الأولى من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة لأنهما أساس التشريع ، ومن باب أولى يجب أن يكون مصدر الأخلاق التي يتحلى بها المسلمون في كل زمان ومكان .

٢- الفكر الأخلاقي في الإسلام فكر ديني يستمد مصادره الأساسية من القرآن الكريم ، والسنة النبوية وسيرة السلف الصالح والصحابة و التابعين وبعض الشخصيات المتميزة في تاريخ الإسلام .

٣- حسن الخلق مع الله عز وجل هو أن يعلم أن كل ما يكون منك يوجب عذراً ، وكل ما يأتي من الله يوجب شكراً فلا تزال شاكراً له معتذراً إليه سائراً إليه من مطالعة منتنه وشهود عيب نفسك وأعمالك .

٤- حسن الخلق مع الناس جماعة أمران بذل المعروف قولاً وفعلاً وكف الأذى قولاً وفعلاً.

٥- علم الأخلاق في الإسلام يبحث في الأحكام أو المبادئ التي تعرف بها الفضائل لتقتنى والرذائل لتجتنب بهدف تزكية النفس على أساس من الوحي الإلهي .

٦- الخلق الحسن هو الأدب والفضيلة وينتج عنه أقوال وأفعال جميلة عقلاً وشرعاً .

---

[١] سورة القلم آية ٤ .

٧- الخلق السيئ هو سوء الأدب والرذيلة وينتج عنه أقوال وأفعال قبيحة عقلاً وشرعاً .

٨- نلمح أن علم الأخلاق وإن أهتم بالفرد دون المجتمع فإن الثمار الطيبة الناتجة عن التحلي بالخلق الكريم يعود نفعها على كل من الفرد والمجتمع .

٩- الحلم من المزايا الفاضلة التي لا يُمحى أثرها ولا يمكن أن ينكر فضلها أحد من ذوي الألباب .

١٠- إن فضيلة الحياء بشارة تدل على اعتدال الأخلاق كما تدل على صفاء القلب ونقاء الضمير بما يعود على الفرد والأمة الإسلامية بالأمن والعدل .

١١- الخجل ليس حياء شرعياً ، لأن الخجل إفراط في الحياء إلى حد الاضطراب والحيرة ، ومن أجل هذا كان الخجل مذموماً لما فيه من تجاوز الحد .

١٢- النبي (ﷺ) هو القدوة الحسنة لنا في حسن الخلق قال تعالى " لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ " [١].

١٣- جزاء صاحب حسن الخلق في الدنيا أنه يكون محبوباً بين الناس ، وفي الآخرة يكون في أعلى الجنة وله ثواب الصائم القائم .

١٤- الإحسان والعفو عند المقدرة من الخُلق الإسلامي الرفيع .

١٥- حسن الخُلق من كمال الإيمان .

١٦- من خصائص الحياء أنه يعقل المرء عن اقتراف الشرور والآثام .

---

[١] سورة الأحزاب آية ٣٣ .

١٧- توجد أمور تعين على تربية الخلق وترقيته منها توسيع دائرة الفكر وصحبة الأخيار ومطالعة سير الصالحين ، وحمل النفس على الإتيان ببعض أعمال لا يقصد منها إلا تذليلها .

١٨- الخلق يمكن علاجه ، فإذا أحس من نفسه إفراط في نوع من الشهوات فليضعف هذا الميل بشئ من الزهد .

المصادر والمراجع

١- اخلاق النبي (ﷺ) وأدابه للحافظ أبي جعفر محمد عبدالله بن محمد بن جعفر ابن حيان الاصبهاني ت ٣٦٩ هـ المعروف بأبوالشيخ تحقيق أحمد محمد موسى ١٣٩١ هـ ١٩٧١ م مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة .

٢- أدب الدنيا والدين لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي ٣٦٤ – ٤٥٠ هـ حققه وعلق عليه محمد فتحي أبوبكر ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ه/١٩٨٨ م ، ط دار الدريان للتراث الدار المصرية .

٣- أسد الغاية في معرفة الصحابة للحافظ عز الدين ابن الاثير أبي الحسن علي ابن محمد الجزري ، متوفي ٦٣٠ هـ ، طبعة دار الشعب ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٩٠ هـ ، ١٩٧٠ م .

٤- أصول الكافي تأليف ثقة الإسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني ٣٢٨/٣٢٩ صححه على أكبر الغفاري ، ط دار الأصول بيروت ، لبنان.

٥- إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي الشيخ الحافظ أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي المتوفي ٥٤٤ هـ ومعه تنبيه المعلم بمهمات صحيح مسلم للشيخ موفق الدين أحمد بن إبراهيم بن محمد تحقيق محمد حسن محمد حسن ، إسماعيل وأحمد فريد المزيدي ، الطبعة الأولى ، ط دار الكتب العلمية بيروت، لبنان .

٦- الأخلاق الإسلامية تأليف د/ عبداللطيف محمد العبد ، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ /١٩٨٥ م ، مكتبة دار العلوم .

٧- الأخلاق الإسلامية تأليف د/ عبداللطيف محمد العبد ، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، يطلب من مكتبة دار العلوم .
٨- الأخلاق الإسلامية د/ علي فضل ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت .
٩- الأخلاق تأليف أحمد أمين ، الطبعة العاشرة ١٩٨٥ ، مكتبة النهضة المصرية .
١٠- الاخلاق عند الغزالي تأليف د/ زكي مبارك ، قدم هذا الكتاب إلى الجامعة المصرية ونوقش ١٩٢٤ ، يطلب من المكتبة التجارية الكبرى ، المطبعة الرحمانية بمصر .
١١- الأخلاق والواجبات للشيخ عبدالقادر المغربي ، الطبعة الثانية ١٩٤٧ م ، المطبعة السلفية بالقاهرة .
١٢- الأخلاق والواجبات للشيخ عبدالقادر المغربي ، ط ١٩٤٧/٢ .
١٣- الأخلاق وقواعد السلوك في الإسلام تأليف عبدالعظيم منصور يشرف على اصدارها محمد توفيق عويضة ، الكتاب الحادي والستون ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠ م
١٤- الأربعين النووية تأليف الإمام محي الدين يحي بن شرف النووي تحقيق أبوحذيفة إبراهيم بن محمد ، ط دار الصحابة للتراث بطنطا .
١٥- الاستيعاب في معرفة الأصحاب للحافظ أبي عمرو يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر القرطبي توفى ٤٦٣ هـ تحقيق على محمد معوض ، عادل أحمد عبدالموجود ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٥ هـ ، ١٩٩٥ م ، الطبعة الأولى .

١٦- التعريفات تأليف السيد الشريف أبى الحسن على بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني الحنفي المتوفي ٨١٦ هـ ، الطبعة الأولى ١٤٢١ ه / ٢٠٠٠ م ، ط دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان .

١٧- الدين والأخلاق د/ محمد يوسف موسى ٢٣ ضمن الإسلام ومكارم الأخلاق ، ط دار الكتاب العربي .

١٨- السيرة النبوية لأبي محمد عبدالملك هشام المعافري المعروفة بسيرة ابن هشام المتوفي ٢١٣ هـ تحقيق لجنة تحقيق التراث بمؤسسة الهدى لتحقيق التراث ، ط دار التقوى .

١٩- العقد الفريد تأليف أبي عمر أحمد بن محمد بن عبدربه الأندلسي ، المتوفي ٣٢٧ هـ ، الطبعة الثانية ١٣٧٥ هـ ١٩٥٦ م ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة بالقاهرة .

٢٠- الفلسفة والأخلاق د/ جعفر ، ط ١٩٦٨ .

٢١- المُفهم لما أُشكل من تلخيص كتاب مسلم تأليف الحافظ أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي ٥٧٨ – ٦٥٦ هـ تحقيق هاني الحاج ، المكتبة التوفيقية القاهرة .

٢٢- الموطأ للإمام مالك بن أنس المتوفي ١٧٩ هـ الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م ، ط دار الحديث .

٢٣- النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام مجد الدين المبارك بن محمد الجزري ابن الأيثر ، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ، محمود محمد الطناحي ، ٥٤٤ – ٦٠٦هـ ، ط دار الفكر .

٢٤- النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري المتوفي ٢١٥ هـ ، تحقيق ودراسة د/ محمد عبدالقادر أحمد ، ط دار الشروق .

٢٥- تحفة الأحوذي للإمام الحافظ أبي العُلا محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري المتوفي ١٣٥٣ هـ ، بشرح جامع الترمذي ، ضبط وتوثيق صدقي جميل العطار ١٤١٥هـ / ١٩٩٥ م ، ط د ار الفكر .

٢٦- تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ عماد الدين أبوالفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفي ٧٧٤ هـ قدّم له د/ يوسف عبدالرحمن المرعشيلي ، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ /١٩٩٤ م ، ط دار المعرفة بيروت ، لبنان .

٢٧- د / قاسم جمال الدين الأفغاني حياته وفلسفته ١٤٢ دون تاريخ .

٢٨- رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين للإمام شيخ الإسلام محي الدين أبى زكريا بن شرف النووي ت ٦٧٦ هـ ، تحقيق عبدالمنعم إبراهيم طبعة نزار مصطفى الباز مكة المكرمة ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م ، الطبعة الأولى .

٢٩- سنن ابن ماجة للحافظ عبدالله محمد بن يزيد القزويني ٢٠٧ – ٢٧٥ هـ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، ط دار الريان للتراث .

٣٠- سنن أبي داود للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ت ٢٧٥ هـ ، الطبعة ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م ، ط دار الريان للتراث .

٣١- سنن الترمذي وهو الجامع المختصر من السنن عن رسول الله (ﷺ) ومعرفة الصحيح والمعلول ومعه الشمائل المحمدية لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة ت ٢٧٩ هـ تصحيح صدقي

محمد جميل العطار ، الطبعة ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م ، ط دار الفكر بيروت ، لبنان .

٣٢- سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين عبدالرحمن السوطي (٨٤٩ - ٩١١ هـ) وحاشية السندي ، ط دار الريان للتراث .

٣٣- شرح النووي على صحيح مسلم للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي المتوفي ٦٧٦ هـ ، توثيق صدقي جميل العطار ، الطبعة ١٤١٥ هـ /١٩٩٥ م ، ط دار الفكر بيروت ، لبنان .

٣٤- صحيح البخاري بحاشية السندي للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة بن بزدريه البخاري الجعفي المتوفي ٢٥٦ هـ تحقيق زكي البارودي ، ط دار البيان العربي .

٣٥- صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ٢٠٦ - ٢٦١ هـ حققه محمد فؤاد عبدالباقي الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م ، ط دار الحديث القاهرة .

٣٦- عمدة القارئ شرح صحيح البخاري للإمام بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني ٧٦٢-٨٥٥ هـ ، الطبعة الأولى ١٣٩٢ هـ /١٩٧٢ م ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

٣٧- عون المعبود بشرح سنن أبي داود للإمام أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم أباذي مع شرح الحافظ ابن قيم الجوزية ، ت ٧٥١ هـ ، تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان ، ط دار الفكر .

٣٨- عيون الأخبار تأليف أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفي ٢٧٦ هـ ، شرحه وعلق عليه د/ مفيد محمد

قميحة ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

٣٩- فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٧٧٣-٨٥٢ هـ ، تحقيق محب الدين الخطيب ، محمد فؤاد عبدالباقي ، الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ ، ط دار الريان المكتبة السلفية .

٤٠- كشاف اصطلاحات الفنون تأليف الشيخ المولوي محمد علي بن علي التهانوي كان حياً ١١٥٨ هـ ، الطبعة ١٢٧٨ هـ ، ط دار صادر بيروت ، لبنان .

٤١- مجمع البيان في تفسير القرآن للإمام الشيخ أبي علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي من أكابر علماء الإمامية في القرن السادس المتوفي ٥٤٨ هـ الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان .

٤٢- مختار الصحاح الشيخ محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي ٦٦٧ هـ ترتيب محمود خاطر ، طبعة مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ، ١٤٠٦ هـ /١٩٨٦ م ، الطبعة الأولى .

٤٣- مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تأليف الرحالة صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق البغدادي، ت ٧٣٩ هـ ، تحقيق محمد علي البيجاوي ، طبعة دار الجيل بيروت ، ١٤٠١ هـ ، ١٩٩٢م ، الطبعة الأولى .

٤٤- مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل ١٦٤ - ٢٤١ هـ شرحه أحمد محمد شاكر الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ ١٩٩٥ م ، ط دار الحديث القاهرة .

٤٥- معجم القبائل العرب القديمة والحديثة ، تأليف عمر رضا كحاله ، طبعة دار العلم للملايين ، بيروت ١٨٨٨ هـ ١٩٦٨ م ، الطبعة الأولى .

٤٦- نهاية الأرب في فنون الأدب تأليف شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويري المتوفي ٧٣٣ هـ ، تحقيق د/ مفيد قميحه ، د/ حسن نور الدين ، الطبعة ٢٠٠٤ م ، ط دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان .